جامعة عبد الرحمن ابن خلدون– تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط الموسومة ب:

ملوك الطوائف من خلال مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب

من إعداد الطالب :

– بن نصار مُحَمَّد

تحت إشراف الأستاذ:

– أ.د بوخلوة حسين

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب:	الصفة
د.خنيوي عبد الرزاق	رئيسيا
أ.د بوخلوة حسين	مشرفا ومقررا
د.حاكمي الحبيب	مناقشا

السنة الجامعية 2025/2024

شكر وتقدير :

قد يقف المرء عاجزا عن رد الجميل لذوي الفعل وقد لا تطاوعنا أساليب التعبير لنعبر عن معاني الشكر والتقدير، الشكر لله أولا و أخيرا ومن باب قوله صل الله عليه وسلم : ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))

نتوجه بالشكر الجزيل ووافر الامتنان والعرفان إلى كل من ساعدنا من قريب ومن بعيد الذي كان لنا .....لإنجاز هذا العمل المتواضع و نخص بالذكر الأستاذ " بخلوة حسين" مرشدا ومعينا لآخر لحظة من إنجاز هذه المذكرة

و إلى جميع الذين ساعدونا تحية شكر وتقدير

ونرجو من المولى أن يجزيهم خير جزاء

إهداء:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى

من كل أعماق القلوب والوجدان نهدي هذا العمل

إلى الأحبة الكرام من آباء وأمهات وإخوة و أخوات

إلى كل أساتذتنا الكرام حفظهم الله

إلى كافة الأصدقاء والزملاء

إلى كل من نسيتهم أقلامنا وضمتهم قلوبنا

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث المتواضع

ونسأل الله أن يجعل هذا العمل نبراسا إلى كل طالب علم

آمين يا رب العالمين

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ط	الطبعة
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د ط	دون طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
مج	مجلد

مقدمة

المقدمة:

شهدت الأندلس واحدة من أكثر الفترات تعقيدا في تاريخها خلال عصر ملوك الطوائف، حيث تفككت الدولة الأموية في الأندلس إلى دويلات متعددة متنافسة، مما أدى إلى تغيرات عميقة في البنية السياسية والاجتماعية والثقافية للمنطقة. في تلك المرحلة، لم تعد السلطة مركزية كما كانت في عهد الخلافة، بل أصبحت موزعة بين عدد من الأسر الحاكمة التي سعت كل منها إلى تثبيت نفوذها في مدينتها أو إقليمها، وأدى هذا التفكك إلى بروز صراعات داخلية مستمرة، كما فتح الباب أمام التدخلات الخارجية من القوى المسيحية في الشمال، وهو ما كان له أثر بالغ في إضعاف التواجد الإسلامي في الأندلس.

برز في هذا السياق لسان الدين ابن الخطيب، أحد أعلام الفكر والأدب والتاريخ في القرن الثامن الهجري، الذي أولى عصر الطوائف عناية خاصة فدون تفاصيله في مؤلفاته المتنوعة. لم يكن ابن الخطيب ناقلا جامدا لسجل الوقائع ، بل اعتمد على مصادر متعددة وقام بتحليلها ،مبرزا أبعاد التحولات الكبرى التي عرفتها الأندلس ، ومنسجما مع اهتمامه بالحياة السياسية والثقافية في عصره ، مما أضفى على كتاباته طابعا خاصا يجمع بين دقة المؤرخ وعمق الأديب. وقد تناول في كتبه نشأة عصر الطوائف، وأسباب ظهوره، وأثره في مصير الأندلس، كما قدم تحليلا لشخصيات ملوك الطوائف، ووقف على نقاط القوة والضعف في إدارتهم، وأثر سياساتهم على المجتمع الأندلسي.

تنبع أهمية دراسة ملوك الطوائف من خلال مؤلفات ابن الخطيب من كونها تتيح فهما أعمق لطبيعة تلك المرحلة، إذ تساعدنا على إدراك العوامل التي أدت إلى انقسام الدولة، وتكشف عن التفاعلات بين القوى المحلية والدولية، كما تسلط الضوء على الأوضاع الاجتماعية والثقافية التي سادت آنذاك، وتبرز هذه الدراسة أيضا الدور الذي لعبه ابن

الخطيب كمؤرخ وناقد، وكيف استطاع أن يقدم رؤية شاملة للأحداث، تجمع بين التحليل السياسي والرصد الاجتماعي والأدبي.

تتحدد إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن كيفية تصوير ابن الخطيب لعصر ملوك الطوائف في مؤلفاته، وما مدى القيمة التاريخية لهذه الكتابات في فهم تلك الحقبة. وتنبثق عن هذه الإشكالية أسئلة تتعلق بخلفية ابن الخطيب الثقافية والاجتماعية، ومنهجه في تناول الأحداث والشخصيات، ومدى موضوعيته ودقته في نقل الوقائع. يهدف البحث إلى تحليل نصوص ابن الخطيب المتعلقة بملوك الطوائف، وتقييمها كمصدر تاريخي، واستكشاف أثرها في الدراسات اللاحقة حول تاريخ الأندلس.

اعتمدنا في هذه الدراسة في تناولنا لموضوع ملوك طوائف من خلال مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب على مجموعة من المناهج العلمية التي تتناسب مع طبيعة كل فصل من فصول البحث. في الفصل الأول، ركزنا على المنهج التحليلي، من خلال تتبع حياة ابن الخطيب وتكوينه العلمي والاجتماعي، مع تحليل العوامل التي أثرت في بناء شخصيته ومكانته في المجتمع الأندلسي، وذلك ضمن الإطار الزمني للأحداث التي عايشها ابن الخطيب. كما استفدنا من المنهج الوصفي في عرض مراحل تعليمه وأبرز شيوخه، ومساره الوظيفي، وأهم المحن التي مر بها، مع إبراز مكانته العلمية والأدبية وتنوع إنتاجه.

في الفصل الثاني، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لدراسة مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف، مع التركيز على تحليل العوامل التي أدت إلى ظهور الدويلات الطائفية وتطورها، وبيان أبرز ممالك الطوائف في الأندلس. كما استعرضنا الحياة اليومية للأندلسيين، من زراعة وصناعة وتجارة، إلى البنية الاجتماعية والتنوع الثقافي والديني، وصولا إلى الحركة الثقافية والأدبية والفكرية التي سادت في تلك الفترة، مع ربط كل ذلك بالسياق التاريخي العام.

أما في الفصل الثالث، فقد اعتمدنا المنهج النقدي والمقارن في دراسة عصر ملوك الطوائف من خلال مؤلفات ابن الخطيب، حيث حللنا رؤيته النقدية للواقع السياسي والاجتماعي، وناقشنا الانقسام السياسي، والتحالفات مع القوى المسيحية، والتحليل الاجتماعي والاقتصادي. كما قارنا بين عصر الطوائف والعصور الأخرى في الأندلس، مع التركيز على نقد الطبقة الحاكمة وتقييم أثر سياساتها على مصير الأندلس، مع الاستناد إلى مؤلفات ابن الخطيب كمصدر أساسي، ومقارنة المعلومات الواردة فيها بمصادر تاريخية أخرى لبيان مدى دقتها ومصداقيتها.

بهذا التنوع المنهجي، حاولنا تقديم صورة متكاملة عن حياة ابن الخطيب، وعصر ملوك الطوائف كما صوره في مؤلفاته، مع التأكيد على العلاقة بين التجربة الشخصية للمؤرخ ومنهجه في التأريخ، وأثر ذلك في فهمنا لتاريخ الأندلس خلال تلك المرحلة الحساسة.

اعتمدنا في تنظيم البحث على ثلاثة فصول رئيسية، يتناول كل فصل منها جانبا محوريا من موضوع الدراسة، ويتفرع إلى مباحث متكاملة تتيح تغطية شاملة لأبعاد الموضوع.

جاء الفصل الأول تحت عنوان "ابن الخطيب: حياته ومؤلفاته"، ويتكون من ثلاثة مباحث رئيسية:

- **المبحث الأول: النشأة والخلفية الاجتماعية**

- يتناول هذا المبحث نسب لسان الدين ابن الخطيب وأصول عائلته، ونشأته في غرناطة، والبيئة العلمية والاجتماعية التي أثرت في تكوينه.

- **المبحث الثاني: التكوين العلمي والمسار الوظيفي**

- يركز على مراحل تعليمه وأبرز شيوخه، وتوليه مناصب الدولة، مع إبراز دور أسرته في حياته المهنية.

- **المبحث الثالث: أهم مؤلفات ابن الخطيب**

- يعرف بأهم مؤلفاته التاريخية، مثل "الإحاطة في أخبار غرناطة"، و"اللمحة البدرية في الدولة النصرية"، و"أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"، مع بيان موضوعاتها ومنهجيتها وأسلوبها.

أما الفصل الثاني، فجاء بعنوان "نظرة عامة حول ملوك الطوائف"، ويضم مبحثين رئيسيين:

- **المبحث الأول: نشأة عصر الطوائف وتطوراته**

- يتناول العوامل التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف، وأبرز الدويلات الطائفية في الأندلس.

- **المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف**

يدرس الحياة الاقتصادية، من زراعة وصناعة وتجارة، ثم الحياة الاجتماعية، من بنية اجتماعية وتنوع ديني، وأخيرا الحياة الثقافية والأدبية والفكرية.

أما الفصل الثالث، فهو بعنوان "دراسة نقدية لعصر ملوك الطوائف من خلال مؤلفات لسان الدين"، ويتكون من ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: نقد ابن الخطيب للواقع السياسي والاجتماعي في عصر ملوك الطوائف**

يتناول الانقسام السياسي، والتحالفات مع القوى المسيحية، والتحليل الاجتماعي والاقتصادي.

- **المبحث الثاني: مقارنة ابن الخطيب بين عصر ملوك الطوائف والعصور الأخرى في الأندلس**

- يقارن بين عصر الطوائف وعصر المرابطين، ويناقش نقد الطبقة الحاكمة في عصر الطوائف.

- **المبحث الثالث: تقييم ابن الخطيب لأثر ملوك الطوائف على مصير الأندلس**

يركز على دور ملوك الطوائف في إضعاف الدولة الإسلامية بالأندلس، وأثر سياساتهم على الحياة الثقافية والعلمية.

واجهت الدراسة بعض الصعوبات، من بينها ندرة بعض المصادر الأصلية وتشابك الأحداث التاريخية، وتشتت المادة العلمية، إلا أن الاعتماد على مؤلفات ابن الخطيب أتاح فرصة لإعادة قراءة تلك المرحلة بعين ناقدة وموضوعية، تسعى إلى تقديم صورة متكاملة عن عصر ملوك الطوائف في الأندلس.

الفصل الأول:
لسان الدين ابن الخطيب حياته ومؤلفاته

المبحث الأول: النشأة والخلفية الاجتماعية

يعد الحديث عن نسب لسان الدين ابن الخطيب وأصول عائلته مدخلا أساسيا لفهم مكانته الاجتماعية والثقافية في الأندلس، إذ أن جذور أسرته تعكس امتدادها العميق في التاريخ الإسلامي وحضورها الفاعل في الحياة العلمية والإدارية. ينتمي ابن الخطيب إلى أسرة السلمانيين التي تعود أصولها إلى قبيلة سلمان القحطانية باليمن، وهي قبيلة عربية عريقة هاجرت إلى الأندلس في بدايات الفتح الإسلامي واستقرت أولا في قرطبة، ثم انتقلت إلى طليطلة بعد أحداث ثورة الربض، تلك الثورة التي شارك فيها جدوده ضمن المعارضة للسلطة الأموية، فكان لهذه الهجرة أثر بالغ في رسم مسار العائلة.

المطلب الأول: النسب وأصول العائلة

الأصول القبلية والانتماء العرقي

ينتمي لسان الدين ابن الخطيب إلى أسرة عريقة من القبائل العربية القحطانية التي وفدت إلى الأندلس في فترة الفتح الإسلامي المبكر، اسمه الكامل هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الخطيب، وهو ينتسب إلى قبيلة سلمان من عرب اليمن القحطانيين[1].

[1] المقري، أحمد بن محمد التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج 4، ص 314-315

تنتسب عائلته إلى سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد من عرب اليمن القحطانيين، وقد استقرت هذه القبيلة في بقعة باليمن تسمى سلمان قبل هجرتها إلى الأندلس. هذا النسب العربي الأصيل أكسب العائلة مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الأندلسي الذي كان يقدر الأصول العربية[1].

تميزت عائلة ابن الخطيب بتاريخ طويل من الخدمة في الجهاز الإداري الأندلسي، حيث كانت تعرف في البداية باسم "بنو الوزير "نسبة إلى المناصب الرفيعة التي تقلدوها في الدولة الأموية بقرطبة. هذا الاسم يعكس المكانة الاجتماعية المرموقة التي تمتعت بها الأسرة منذ وصولها إلى الأندلس.

التحول في تسمية العائلة جاء على يد الجد الثالث للسان الدين، وهو سعيد الذي كان يجلس للعلم والوعظ فعرف بالخطيب، منذ ذلك الحين لحق لقب "الخطيب" بالأسرة وأصبح اسمها المعروف، خاصة بعد استقرارها في مدينة لوشة، هذا التغيير في التسمية يدل على التحول من التركيز على المناصب السياسية إلى التأكيد على الدور العلمي والديني للعائلة[2].

شهدت عائلة ابن الخطيب عدة تنقلات مهمة عبر التاريخ الأندلسي، كل منها مرتبط بأحداث سياسية واجتماعية كبرى انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة بعد وقعة الربض أيام

[1] ابن الخطيب، لسان الدين، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج 1، ص 125

[2] عنان، محمد عبد الله، "لسان الدين ابن الخطيب: حياته وتراثه الفكري"، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968، ص 15

الحكم الأول، وهي الثورة التي اندلعت عام 202هجرية الموافق لسنة 817 ميلادية ضد الأمير الحكم بن هشام الأموي.

وقعة الربض كانت نقطة تحول مهمة في تاريخ الأسرة، حيث شاركت في هذه الثورة التي قادها الفقهاء وعدد من الجاليات المشرقية بقرطبة ضد السلطة الأموية. بعد فشل الثورة وقمعها بقسوة، اضطرت العائلة للهجرة إلى طليطلة حيث استقرت لمدة قرن ونصف تقريبا.

من طليطلة، انتقلت الأسرة إلى مدينة لوشة بسبب تزايد الضغوط من حروب الاستيلاء المسيحية التي كانت تهدد الوجود الإسلامي في المنطقة، في لوشة استقرت العائلة وترسخت مكانتها العلمية، وهناك ولد لسان الدين في 25رجب سنة 713 هجرية الموافق لسنة 1313 ميلادية[1].

المطلب الثاني: النشأة في غرناطة والبيئة العلمية والاجتماعية

بعد ولادة لسان الدين مباشرة، انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف من بني نصر، هذا الانتقال كان بمثابة عودة الأسرة إلى دائرة النفوذ السياسي والإداري، ولكن هذه المرة في خدمة الدولة النصرية التي كانت آخر معاقل الحكم الإسلامي في الأندلس.

غرناطة في ذلك الوقت كانت مجمع العلماء ومراد الأدباء، رغم أن الأندلس كانت في أضعف حالاتها سياسيا، هذا التناقض بين الضعف السياسي والازدهار الثقافي شكل البيئة

[1] ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف، "نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان"، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991، ص 287

الفريدة التي نشأ فيها لسان الدين .كان يعيش في عصر بني نصر وهم حكام مملكة غرناطة، والذين اعتمدوا على المفاوضات مع القشتاليين والاتحاد مع المرينيين في المغرب للحفاظ على وجودهم[1].

نشأ لسان الدين في أسرة عرفت بالعلم والفضل والجاه، مما وفر له بيئة مثالية للتعلم والنمو الفكري. والده الذي ولد سنة 672 هجرية، كان قد ورث المكانة العلمية والاجتماعية التي تميزت بها الأسرة عبر الأجيال .عمل والده في ديوان الكتابة لدى السلاطين النصريين، مما أتاح للسان الدين التعرف على أسرار السياسة والإدارة منذ صغره[2].

تأدب لسان الدين في غرناطة على شيوخها، حيث أخذ عنهم القرآن، والفقه، والتفسير، واللغة، والرواية، والطب، هذا التعليم الشامل والمتنوع عكس النهج التعليمي السائد في الأندلس آنذاك، والذي كان يهدف إلى إعداد علماء موسوعيين قادرين على الإبداع في مختلف المجالات[3].

درس الأدب والطب والفلسفة في جامع القرويين بمدينة فاس، مما أضاف إلى تكوينه العلمي بعدا مغربيا مهما، هذه الدراسة في فاس عرفته على التقاليد العلمية المغربية وربطته

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، "الوافي بالوفيات"، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج 4، ص 123

[2] الحميري، محمد بن عبد الله، "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 345

[3] ابن الخطيب، لسان الدين، "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"، تحقيق إ ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 234

بشبكة واسعة من العلماء والمفكرين في شمال أفريقيا، كانت جامع القرويين آنذاك من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، وقد أثرت دراسته فيها على منهجه العلمي وثقافته الواسعة[1].

نقطة التحول الحاسمة في حياة لسان الدين جاءت عندما قتل والده سنة 741 هجرية في معركة طريف ضد القوات المسيحية، في ذلك الوقت كان لسان الدين في الثامنة والعشرين من عمره، وقد حل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجياب.

عندما توفي الوزير أبو الحسن بن الجياب بالطاعون الجارف، تولى لسان الدين منصب الوزارة، هذا الصعود السريع في المناصب الإدارية يعكس الثقة التي كان يحظى بها من قبل السلاطين النصريين، وكذلك الكفاءة الإدارية والسياسية التي أظهرها منذ بداية حياته المهنية[2].

البيئة التي نشأ فيها لسان الدين ابن الخطيب كانت بيئة متناقضة تجمع بين الضعف السياسي والازدهار الثقافي، هذا التناقض أثر بعمق في تكوينه الفكري وجعله يجمع بين خاصيتين كثيرا ما تناقضتا :السياسة والأدب .لقب بذي الوزارتين، لأنه كان في النهار يكتب في السياسة، وكان يتفرغ ليلا لكل ما له علاقة بالأحاسيس والشعر والأدب[3].

---

[1] عنان، محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس"، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ج 7، ص 156

[2] ابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق ج س كولان وإ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 2، ص 98

[3] عنان، محمد عبد الله، "دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 157

هذه البيئة المعقدة أنتجت شخصية فريدة استطاعت أن تجمع بين الحكمة السياسية والإبداع الأدبي، وأن تترك أثرا عميقا في التاريخ الأندلسي رغم التحديات السياسية والاجتماعية التي واجهتها مملكة غرناطة في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأندلس[1].

المبحث الثاني: التكوين العلمي والمسار الوظيفي

يشكل التكوين العلمي لسان الدين ابن الخطيب أحد الركائز الأساسية في بناء شخصيته الفكرية والأدبية، فقد نشأ في بيئة علمية زاخرة بالحركة الثقافية في غرناطة، ما أتاح له منذ صغره فرصة التلقي عن كبار العلماء والأدباء الذين عاصرهم، تميزت مراحل تعليمه بالتدرج المنهجي، حيث بدأ بتعلم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية في سن مبكرة، ثم توسع في دراسة الفقه والحديث والمنطق والفلسفة والطب، مستفيدا من أجواء الانفتاح العلمي التي عرفت بها الأندلس في عصر بني نصر، كان لابن الخطيب شيوخ كثر في مختلف العلوم، وقد نهل من مجالسهم وتلقى عنهم المعارف التي شكلت أساس تكوينه العلمي، فانعكس ذلك على موسوعيته وتنوع إنتاجه. [2]

إن تتبع مراحل تعليمه وأبرز شيوخه يوضح كيف تبلورت شخصيته العلمية، وكيف استطاع أن يجمع بين الأصالة والتجديد في مؤلفاته، ليصبح من أبرز أعلام الفكر والأدب والتاريخ في الأندلس.

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، المرجع السابق، ص 124

[2] سفيان صرصاق، "الحياة العلمية بمدينة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة لإبن الخطيب"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2012، ص 25

المطلب الأول: مراحل تعليمه وأبرز شيوخه

المرحلة الأولى: التعليم الأساسي في غرناطة

نشأ لسان الدين ابن الخطيب في غرناطة التي كانت في ذلك الوقت مجمع العلماء ومراد الأدباء فكان له الحظ الوافر في التعلم على الأدباء والعلماء، تأدب على شيوخ غرناطة وهم كثر حيث أخذ عنهم القرآن والفقه والتفسير واللغة والرواية والطب وصناعة التعديل، هذا التنوع في العلوم التي تلقاها يعكس النهج التعليمي الشامل الذي كان سائدا في الأندلس والذي يهدف إلى إعداد علماء موسوعيين[1].

البيئة التعليمية في غرناطة كانت استثنائية حيث كانت تضم نخبة من العلماء والمفكرين الذين فروا من المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت في أيدي المسيحيين، هذا التجمع العلمي الكثيف وفر لابن الخطيب فرصة فريدة للتعلم من مختلف التخصصات والمدارس الفكرية في مكان واحد[2].

المرحلة الثانية: التخصص والتعمق العلمي

برع لسان الدين في علوم اللغة والقرآن والفقه والطب والأدب وقد نبغ في الأدب والتاريخ والتراجم والسير والطب، أخذ الطب عن الإمام أبي زكريا ابن هذيل التجيبي والذي

[1] ابن الخطيب، لسان الدين، "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المرجع السابق، ص 238

[2] سفيان صرصاق، المرجع السابق، ص 112

كان يعزه ابن الخطيب إعزازا شديدا، هذا الشيخ كان له تأثير كبير في تكوين ابن الخطيب الطبي حيث ألف العديد من الكتب في مجال الطب وصلنا منها تسعة كتب[1].

درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بمدينة فاس مما أضاف إلى تكوينه العلمي بعدا مغربيا مهما، هذه الدراسة في فاس عرفته على التقاليد العلمية المغربية وربطته بشبكة واسعة من العلماء والمفكرين في شمال أفريقيا. كانت جامعة القرويين آنذاك من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي وقد أثرت دراسته فيها على منهجه العلمي وثقافته الواسعة[2].

أبرز شيوخه

ذكر ابن الخطيب شيوخه تحت عنوان المشيخة في آخر كتاب الإحاطة مما يدل على تقديره واحترامه لمن علموه، نشأ في بيت يتصدره أهل العلم والأدب فعرف جده بالخطيب وتولى والده ديوان الإنشاء، هذه البيئة الأسرية العلمية وفرت له أساسا قويا في التعليم والثقافة منذ الصغر.

من أبرز شيوخه الإمام أبو زكريا ابن هذيل التجيبي الذي تخصص في الطب وكان له تأثير عميق في تكوين ابن الخطيب الطبي. كما تتلمذ على يد علماء غرناطة المتخصصين

[1] ابن الخطيب، لسان الدين، "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"، تحقيق محمد عبد الله عنان، 2016، ص 215

[2] ابن الخطيب، لسان الدين، "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط"، تحقيق أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964،ص 189

في الفقه المالكي والتفسير واللغة العربية والأدب. هؤلاء الشيوخ لم يكونوا مجرد معلمين بل كانوا علماء موسوعيين أثروا في تشكيل شخصيته العلمية المتنوعة[1].

التأثيرات العلمية والمنهجية

كان لتنوع مصادر تعليم ابن الخطيب أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية الموسوعية، فقد جمع بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية والأدب والتاريخ مما جعله قادرا على الإبداع في مختلف المجالات. هذا التكوين الشامل انعكس على مؤلفاته المتنوعة التي شملت التاريخ والأدب والطب والسياسة[2].

تميز منهجه العلمي بالجمع بين النقل والعقل والاعتماد على المشاهدة والتجربة خاصة في المجال الطبي، كما أظهر قدرة فائقة على الربط بين مختلف العلوم واستخدام المعرفة المكتسبة في مجال معين لإثراء مجال آخر، هذا النهج الموسوعي جعله من أبرز المفكرين في عصره.

البيئة التعليمية في غرناطة

[1] "ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت753هـ) حياته وما تبقى من شعره"، جمع وصنعة ودراسة د محمد عويد الساير ود عكاب طرموز الحياني، 2016، ص 191

[2] إسماعيل رمضان محمد علي، حفيظة، "معيار الاختيار لابن الخطيب بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية فنية"، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، المجلد 19، العدد 5، 2015، ص 4287

كانت غرناطة في عصر ابن الخطيب مركزا علميا مهما رغم الضعف السياسي الذي كانت تعاني منه الأندلس، هذا التناقض بين الازدهار الثقافي والضعف السياسي خلق بيئة فريدة ساهمت في تكوين جيل من العلماء المبدعين كان ابن الخطيب من أبرزهم، البيئة العلمية الغنية في غرناطة وفرت له فرصا متنوعة للتعلم والنمو الفكري[1].

كانت المدارس والمساجد في غرناطة تعج بحلقات العلم والمناقشات الفكرية. كما كان القصر النصري يستقطب العلماء والأدباء من مختلف أنحاء الأندلس والمغرب مما خلق بيئة ثقافية متنوعة ومثرية. هذه البيئة الاستثنائية ساهمت في صقل مواهب ابن الخطيب وتنمية قدراته الفكرية والأدبية[2].

التكوين الطبي

أولى ابن الخطيب اهتماما خاصا بعلم الطب وألف فيه عدة كتب منها "مقنعة السائل عن المرض الهائل" وهي رسالة كتبها عن الطاعون الجارف الذي دهم الأندلس وسائر العالم الإسلامي سنة 748 هجرية. كما ألف كتاب "عمل من طب لمن أحب" وكتاب "الوصول لحفظ الصحة في الفصول" الذي تناول فيه مسألة الوقاية من الأمراض حسب اختلاف الفصول.

[1] محمد عبد الله عنان. المرجع السابق، ص 54

[2] سفيان صرصاق، المرجع السابق، ص 32

تميز نهجه في الطب بالجمع بين النظرية والتطبيق والاعتماد على المشاهدة المباشرة للأمراض وأعراضها. كما أظهر فهما عميقا للعلاقة بين البيئة والصحة وتأثير العوامل المناخية على جسم الإنسان. هذا النهج العلمي المتقدم جعله من رواد الطب في عصره[1].

المطلب الثاني: توليه مناصب الدولة

بداية المسار الوظيفي وديوان الإنشاء

بدأ لسان الدين ابن الخطيب مساره الوظيفي في خدمة الدولة النصرية عندما قتل والده سنة 741 هجرية في معركة طريف ضد القوات المسيحية وكان ابن الخطيب حينها في الثامنة والعشرين من عمره. حل محل والده في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجياب[2] رئيس ديوان الإنشاء النصري وارتبط بشيخه بن الجياب ارتباطا وثيقا.[3]

عندما توفي الوزير أبو الحسن بن الجياب بوباء الطاعون الجارف تولى ابن الخطيب رئاسة ديوان الإنشاء واكتسب مكانة مهمة في الدولة. ديوان الإنشاء كان من أهم الدواوين

[1] كعدان، عبد الناصر، "لسان الدين ابن الخطيب وكتابه عَمَلُ مَنْ طَبّ لمن حَبّ"، مجلة إشيم، ص 14

[2] أبو الحجاج يوسف الأول (1318 – 1354): هو أبو الحجاج يوسف المؤيد بالله بن إسماعيل الغالب بالله بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر من بني نصر أو بني الأحمر المنحدرة من قبيلة الخزرج القحطانية، حكم مملكة غرناطة في الأندلس بين عامي (1333 – 1354) تولى الإمارة بعد مقتل أخيه السلطان محمد الرابع، ينظر: "الملك أبو الحجاج يوسف الأول الحاكم السابع لغرناطة"، مجلة الأنصار العالمية، 13 فبراير 2016، ص 19

[3] كعدان، عبد الناصر، مرجع سابق، ص 8

في الدولة النصرية حيث يتولى كتابة المراسلات الرسمية والوثائق السلطانية والمعاهدات مع الدول الأخرى.[1]

استطاع ابن الخطيب أن يصعد في المناصب الإدارية بسرعة حتى وصل إلى منصب الوزارة في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة 733 هجرية. استمر في منصب الوزارة حتى بعد مقتل السلطان أبي الحجاج يوسف سنة 755 هجرية وانتقال الملك إلى ولده الغني بالله محمد.

شغل منصب وزير مرموق لدى بني الأحمر في غرناطة وعظمت مكانته في الدولة. كان من الأوائل الذين استقبلوا عبد الرحمن ابن خلدون كما اعترف بذلك هذا الأخير في كتابه التعريف بابن خلدون وتكونت بينهما صداقة علمية كبيرة ومنافسة ثقافية.[2]

ارتبط ابن الخطيب بعلاقة وثيقة مع السلطان محمد الخامس الغني بالله[3] وأصبح من أقرب المستشارين إليه. كان يكتب في السياسة في النهار ويتفرغ ليلا لكل ما له علاقة بالأحاسيس والشعر والأدب حتى لقب بذي العمرين وذي الوزارتين لارتباطه بالثقافة بوصفها نشاطا روحيا متوغلا فيه وبالوزارة في عهد السلطان محمد الخامس.

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، "رسالة ابن الخطيب لسان الدين في السياسة السلطانية"، مجلة تبيُّن، المجلد 4، العدد 14، خريف 2015، ص 110

[2] كعدان، عبد الناصر، المرجع السابق، ص 29

[3] محمد الخامس الغني بالله: هو محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري، سلطان غرناطة، حكم في فترتين منفصلتين بسبب الاضطرابات السياسية كان من أهم سلاطين بني نصر وارتبط بعلاقة وثيقة مع وزيره لسان الدين ابن الخطيب، ينظر: "حياة وموت ابن الخطيب لسان الدين"، القدس العربي، 17 يناير 2023، ص21

خروجه من الاندلس:

رغم المكانة العالية التي وصل إليها ابن الخطيب إلا أنه شعر بسعي حاسديه في الوشاية به فكاتب السلطان عبد العزيز ابن علي المريني[1] برغبته في الرحلة إليه. ترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق ومنه إلى سبتة فتلمسان سنة 773 هجرية دون علم سلطانه الغني بالله.

أخذ عليه أيضا تركه لمنصبه وهروبه في سنة 773 هجرية دون علم سلطانه الغني بالله ليلتحق بالسلطان المريني في تلمسان يوم 19 رجب من السنة نفسها. كان ابن الخطيب متيقنا بأن سلطانه لم يكن ليسمح له بمغادرة الأندلس فبعث إليه وهو يغادر وطنه إلى غير رجعة برسالة وداع يبرئ فيها نفسه ونزاهة مقصده مبررا هجرته إلى العدوة الأخرى بغرض الانقطاع عن الناس والتفرغ للعبادة والفرار إلى الله وحده.[2]

العودة إلى الأندلس

السلطان هو من استغاث به ووجه إليه دعوة الالتحاق بالأندلس لتولي الوزارة لما يعرفه عنه من كفاءته السياسية في وقت كان فيه لسان الدين بن الخطيب زاهدا بين تلمسان وسلا.

---

[1] عبد العزيز الأول المريني: عبد العزيز بن أبي الحسن يكنى أبا فارس، (ولد 749هـ / حوالي 1349م - تُوفي 774هـ / حوالي 1372م)، هو السلطان المريني الذي أعاد لدولة بني مرين أمجادها وقضى على الاستبداد الذي طالها، وهو السلطان الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه، ينظر: "ابن الخطيب لسان الدين"، الرابطة المحمدية للعلماء، مرجع سابق، ص 43

[2] الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح وتع: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج ،1دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص19

رجع إلى الأندلس سنة 763 هجرية وفاء لسلطانه لشغل منصب الوزارة من جديد وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

عندما رجع إلى الأندلس وتقلد أمر حكومة غرناطة خاض حربا ضروسا ضد عصابات التملق والمستعاشين لأن ذلك من شروط توطيد دعائم الملك بعد الانهيارات التي مست المملكة في العمق. كما وقف ضد قتل ابن الزبير أحد المتهمين بالزندقة لأن التهمة جاءت بلا سند يذكر.[1]

نهاية المسار السياسي

انتهت حياة ابن الخطيب السياسية بشكل مأساوي حيث وجد سلطان غرناطة في هروب ابن الخطيب مسوغا لقبول أقوال أعدائه فيه وثبت ذلك لديه أكثر حينما سعى سلطان بني مرين لديه بأن يخلى سبيل أسرة ابن الخطيب، اجتماع التهمتين الخطيرتين السياسة والزندقة كان كافيا للدفع به نحو الإعدام حيث قبض عليه المستنصر وأرسل الغني بالله وزيره ابن زمرك إلى فاس فعقد بها مجلس الشورى وأحضر ابن الخطيب فوجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة وأفتى بعض الفقهاء بقتله.[2]

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 113

[2] ابن زمرك: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي (733-793 هـ) المعروف بابن زمرك من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس كان وزيرا لبني الأحمر ولد بروض البيازين بغرناطة وتتلمذ على يد لسان الدين ابن الخطيب وقد حرض على أستاذه لسان الدين ابن الخطيب حتى قتل ابن الخطيب خنقا، ينظر: بدر، رمضان عيد محمد، "شعر ابن زمرك الأندلسي: وثيقة تاريخية"، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد 55، أبريل 2022، ص 18

المبحث الثالث: أهم مؤلفات ابن الخطيب

المطلب الأول: الإحاطة في اخبار غرناطة

يعد كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" من أمهات كتب التاريخ الأندلسي التي عول عليها الباحثون، وهو أهم مصدر بعد كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري التلمساني في دراسة التاريخ السياسي والثقافي والأدبي للأندلس والمغرب. ينصب موضوع الكتاب حول الحديث عن تاريخ غرناطة آخر معقل إسلامي سقط في الأندلس، وهو عبارة عن موسوعة أدبية شاملة تؤرخ لكل ما يتعلق بهذه المدينة من أخبار وأوصاف ومعالم تاريخية في مقدمتها قصر الحمراء.[1]

قسم ابن الخطيب كتابه إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول في حلي المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن، والقسم الثاني في حلي الزائر والقاطن والمتحرك والساكن. استعمل ابن الخطيب أكثر من تسمية للكتاب، فذكره إلى جانب العنوان الذي وضع به هذا الكتاب، بأسماء: "الإحاطة بتاريخ غرناطة" الذي قال إنه في سبعة أسفار و"الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة" الذي قال إنه في تسعة أسفار و"تاريخ غرناطة" الذي قال إنه "في اثني عشر سفرا"، كما ذكره بعنوان "الإماطة عن وجه الإحاطة في ما أمكن من تاريخ غرناطة".[2]

---

[1] المغراوي رابح عبد الله، "تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة". مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الكويت، العدد 27، 1999، ص 167

[2] محمد سيف الإسلام بوفلاقة. "التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب." مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 66، 2020، ص 11

يحتوي الكتاب على وصف شامل لغرناطة من جميع الجوانب الجغرافية من مواقع وتضاريس، فذكر مروجها وجبالها وأنهارها. كما عني الكاتب بتغطية الجوانب الفكرية والاجتماعية، حيث أرخ لتاريخ من نزل بها منذ عهد العرب الأوائل، ومن مر بها من الكتاب والشعراء والأدباء والوزراء والمتغلبين.[1]

رسم ابن الخطيب خطة ومنهجا واضحين، رتب عناصرهما ترتيبا حسنا، وتغلغل في التفاصيل وتعمق ورصد أخبار المترجم له، متابعا أوليته (نسبه). استطاع ابن الخطيب أن يجعل كل ترجمة مركزا لدائرة معارف تاريخية وأدبية تحوي نسبه، كنيته، اسمه، حاله، مشيخته، تآليفه، شعره ومحنته (إن كان قد تعرض لمحنة في حياته) ووفاته. غير أن الملاحظ على ابن الخطيب في كتابه عدم التقيد بالترتيب التاريخي للعصور والحوادث والأشخاص، وإنما التزم بالترتيب الأبجدي للتراجم.[2]

اعتمد ابن الخطيب في جمع مادته على مصادر متنوعة، وأهمها تاريخ أبي عبد الله محمد بن جزي الغرناطي، الذي شرع في أثناء مقامه بفاس بكتابة تاريخ عام لبلده غرناطة، ولكنه مات سنة 757هـ قبل أن يتمه. وقد صرح ابن الخطيب بأنه اطلع على هذا الكتاب بمدينة فاس عندما قام بسفارة إلى المغرب سنة 755هـ، وسار على منهاجه عند تأليف "الإحاطة". أضف إلى ذلك الوثائق والمعلومات التي اعتمدها والتي أخذها من معاصريه ذوي الشأن.

---

[1] محمد سيف الإسلام بوفلاقة. المرجع السابق، ص 35

[2] ساجد مخلف حسن، لسان الدين ابن الخطيب، المرجع السابق، ص 45

المطلب الثاني: "اللمحة البدرية في الدولة النصرية": موضوعه وأسلوبه

يعد كتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" من أهم المؤلفات التاريخية لابن الخطيب، وهو كتاب موجز ومكثف ألفه عام 763هـ في تاريخ بني الأحمر (الدولة النصرية) آخر دول العرب في الأندلس. يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر وأوثقها في التاريخ لحياة الدولة النصرية، منذ نشأتها إلى آخر حياة هذا الوزير المؤرخ.[1]

يركز الكتاب على تاريخ الدولة النصرية (بني الأحمر) التي حكمت غرناطة من عام 629هـ/1232م حتى سقوطها عام 897هـ/1492م. ذكر ابن الخطيب في كتابه نبذا من أخبار ملوك بني الأحمر، وأخبار وطنهم الذي سكنوه، ثم ذكر عوائد آل بني الأحمر، وأوصافهم وعاداتهم.

يتناول لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب الحديث عن غرناطة وصفات أهلها، وعاداتهم وسير ملوكها، ويقع في جزء واحد. يشير ابن الخطيب في "اللمحة البدرية" أنه بدأ في تدوين هذا الكتاب وأتمه في المغرب في أوائل سنة 765هـ/ 1363م.

يتضمن الكتاب أيضا وصفا دقيقا للنظام الإداري والسياسي للدولة النصرية، وعلاقاتها الخارجية مع القوى المجاورة، سواء كانت إسلامية أو مسيحية. كما يقدم معلومات قيمة حول الحياة الاجتماعية والثقافية في غرناطة، والعادات والتقاليد التي ميزت بني الأحمر.[2]

---

[1] مها هلال محمد، الخطاب المقدماتي في النثر الأندلسي: كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية لابن الخطيب لسان الدين، مجلة جامعة الزيتونة الدولية ، ع 19، 2024، ص 107.

[2] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 8

اعتمد المؤلف في كتابه هذا منهجا موثوقا به، يقوم على وثائق ومستندات معتمدة، كما عاد في كتابته إلى شواهد مكتوبة وأخرى منحوتة وإلى روايات شفهية من الخاصة والعامة. وباعتباره شاهد عيان مثقفا ووزيرا، فقد استطاع أن يقدم معلومات دقيقة ومفصلة عن أحداث عصره، مما أكسب الكتاب قيمة توثيقية عالية.[1]

استفاد ابن الخطيب من موقعه كوزير في البلاط النصري، حيث كان له اطلاع مباشر على الوثائق الرسمية والمراسلات الدبلوماسية، وشارك في العديد من الأحداث السياسية المهمة، مما جعل كتابه مصدرا أوليا لا غنى عنه لدراسة تاريخ الدولة النصرية.

تميز أسلوب ابن الخطيب في هذا الكتاب بالإيجاز والتركيز، مع الحفاظ على دقة المعلومات التاريخية وجمال الأسلوب الأدبي الذي اشتهر به. رغم كونه كتابا موجزا، إلا أنه يحتوي على معلومات غنية ومتنوعة حول مختلف جوانب الحياة في الدولة النصرية.

استخدم ابن الخطيب في هذا الكتاب أسلوبا سرديا واضحا، بعيدا عن التعقيد والإفراط في الزخرفة اللفظية، مما جعل الكتاب سهل القراءة والفهم. كما حرص على توثيق المعلومات بدقة، مستشهدا بالوثائق والمصادر المعتمدة.[2]

المطلب الثالث: مؤلفات أخرى

1- كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام":

[1] مها هلال محمد، المرجع السابق، ص 108

[2] مها هلال محمد، المرجع السابق، ص 109

يعد كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام" من أهم المؤلفات التاريخية لابن الخطيب، وهو آخر مؤلف كتبه، حيث ألفه في الفترة الأخيرة من حياته وقبيل مقتله بالمغرب بين سنتي 774 و776هـ (1362-1374م). كتبه للوزير أبي بكر بن غازي، ويقع في جزأين يحتويان على 765 صفحة.[1]

قسم ابن الخطيب كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية تغطي العالم الإسلامي بشكل شامل. القسم الأول خصصه لتاريخ المشرق من أول عصر النبوة إلى عصر الأمراء العلويين بالحرمين، ويغطي تاريخ بني العباس والدول الإسلامية في المشرق. يتناول هذا القسم تطور الخلافة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مرورا بالخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، مع التركيز على الحكام الذين تولوا السلطة في سن مبكرة قبل البلوغ.

القسم الثاني خصصه لتاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى عصر المؤلف، وقد ذكر في هذا القسم من جاورهم من ملوك النصارى وكان بينهم من علاقات مع ملوك الإسلام في كل عصر. يعتبر هذا الكتاب أول كتاب إسلامي تناول ملوكهم للتاريخ المسلسل في جوار الأندلس. هذا القسم يحتوي على تحليل مفصل لتاريخ الأندلس منذ عبد الرحمن الداخل حتى عصر بني نصر، مع إيلاء اهتمام خاص لفترة ملوك الطوائف وتأثيرها على مصير الأندلس.[2]

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ج1، ص 3

[2] إبراهيم العريس، لسان الدين ابن الخطيب: حياته وأدبه، بيروت: دار النهضة العربية، 2001، ص 65

القسم الثالث وضعه لملوك المغرب من مدينة برقة شرقا إلى حدود المحيط الأطلسي غربا، وانتهى هذا القسم عند دولة الموحدين. يغطي هذا القسم تاريخ بني حفص بإفريقية وبني مرين بالمغرب، مع التركيز على العلاقات المغربية–الأندلسية والتدخلات المغربية في شؤون الأندلس.[1]

2–كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان"

يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي تحدث فيها ابن الخطيب عن العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب، استخلص ابن الخطيب مادة هذا الكتاب من مراسلاته مع ملوك المغرب ووزرائهم، مما يجعله مصدرا أوليا لفهم التفاعلات السياسية والدبلوماسية بين الدويلات الأندلسية والقوى المغربية، يحتوي الكتاب على معلومات قيمة حول كيفية تعامل ملوك الطوائف مع القوى الخارجية، وطبيعة التحالفات والصراعات التي نشأت بين هذه الأطراف، كما يوثق الكتاب التدخلات المغربية في شؤون الأندلس، والمراسلات الدبلوماسية التي كانت تجري بين الحكام، مما يقدم صورة واضحة عن السياسة الخارجية لملوك الطوائف وعلاقاتهم المعقدة مع جيرانهم المغاربة.[2]

3–كتاب "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"

[1] إبراهيم العريس، نفسه ، ص 66

[2] ابن الخطيب لسان الدين، كناسة الدكان بعد انتقال السكان: حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، تح: محمد كمال، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص 5

كتبه ابن الخطيب في أربعة أسفار بعد خروجه من الأندلس ونفيه إلى المغرب، وتناول فيه مرارة الاغتراب وما يعتري المغترب من أحوال على شكل شعر ونثر. يشكو فيه تبدل حاله بعد أن كان وزيرا والآن أصبح منفيا من بلاده، وافتتحه بفصل ذكر جبال تهامة ثم ذكر تبدل الدول في الأندلس وبعض القادة الذين فروا من الأندلس، يحتوي هذا الكتاب على معلومات مهمة عن تبدل الدول في الأندلس وبعض القادة الذين فروا من الأندلس، مما يقدم نظرة عميقة على أوضاع ملوك الطوائف وتأثيرها على مصير الأندلس. كما يتضمن الكتاب تحليلا لأسباب سقوط الدويلات الأندلسية وانهيار النظام السياسي، مع وصف دقيق للفوضى التي عمت البلاد نتيجة الصراعات الداخلية بين ملوك الطوائف.[1]

4-كتاب "رقم الحلل في نظم الدول"

يناقش هذا الكتاب تاريخ الدول الإسلامية والخلفاء الأوائل وبني العباس، وبني أمية بالأندلس وملوك الطوائف والمرابطين والموحدين وبني مرين ، . هو عبارة عن تاريخ منظوم للدول الإسلامية، . يتميز هذا الكتاب بكونه تاريخا منظوما شعريا، مما يجعله فريدا في نوعه، حيث جمع ابن الخطيب بين التأريخ والشعر في عمل واحد، يقدم الكتاب نظرة شاملة على تطور الدول الإسلامية، من خلال نشأتها وصعودها وسقوطها عبر رؤية تحليلية دقيقة،

[1] ابن الخطيب لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق إحسان عباس، الرباط: دار الغرب الإسلامي، 1997، ج1، ص 15

ويبرز دور العوامل السياسية والاجتماعية والدينية في استقرار الحكم أو اضطرابه، بأسلوب يجمع بين التأريخ والتقويم النقدي.[1]

5-كتاب "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"

يعد كتاب "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار" لابن الخطيب من أهم المؤلفات التي تقدم وصفا شاملا ودقيقا لأبرز مدن مملكة غرناطة ومدن المغرب، جامعا بين الجغرافيا والتاريخ والاجتماع في أسلوب مقامي سردي مميز. افتتح ابن الخطيب كتابه بذكر جبل طارق، ثم انتقل إلى وصف 34 مدينة أندلسية مثل مالقة، غرناطة، رندة وغيرها، وقارنها بمدن مغربية زارها أثناء منفاه مثل طنجة، مكناس، فاس، وسبتة.

يمتاز هذا العمل بتقديم وصف جغرافي وتاريخي مفصل للمدن، حيث يتناول تضاريسها، معالمها العمرانية، تطورها عبر العصور، وأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها. كما يسلط الضوء على الجوانب الاجتماعية، فيعرض عادات السكان، أنماط حياتهم، وأحوالهم الاقتصادية والثقافية، مما يمنح القارئ صورة متكاملة عن البيئة التي نشأت فيها ممالك الطوائف الأندلسية والمغربية.[2]

[1] ابن الخطيب لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق د بشير طرطاق ، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 2012، ص45

[2] ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط: دار الغرب الإسلامي، 1989، ص 11

هذه المؤلفات مجتمعة تشكل مصدرا غنيا لدراسة ملوك الطوائف وأحوال الأندلس السياسية والاجتماعية في العصور المتأخرة، وتعكس نظرة ابن الخطيب النقدية والتحليلية لتلك المرحلة التاريخية المهمة.

الفصل الثاني:

ملوك الطوائف (نظرة عامة حول فترة ملوك الطوائف)

المبحث الأول: نشأة عصر الطوائف وتطوراته

المطلب الأول: العوامل التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف

نشأ عصر ملوك الطوائف في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية عام 422هـ/1031م، نتيجة لعوامل متعددة ومعقدة وثقها ابن الخطيب في مؤلفاته. يشير ابن الخطيب في كتاب "أعمال الأعلام" إلى أن هذا العصر بدأ بعد أن "اضمحل أمر الخلافة الأموية بالأندلس، وكيف استبد بالأمر المنصور بن أبي عامر وأعقابه، وأسسوا الدولة العامرية". ثم يصف كيف "ثارت الفتنة بعد ذلك فانقرضت دولة العامريين وانتهب الثائرون دورهم، ثم تدهور بنو حمود وثب الأمراء والموالي والوزراء وكبار العرب وأعيان البربر وقام كل واحد منهم بأمر في ناحية".[1]

العامل الأول: انهيار الحكم المركزي وسقوط الخلافة الأموية

منذ نهاية القرن الرابع الهجري، استبد الحجاب بالسلطة الفعلية في الأندلس، وتعاقب على العرش مجموعة من الخلفاء الأمويين العاجزين عن توحيدها والمتصارعين فيما بينهم، فضعف الحكم المركزي بقرطبة، وانتهى بسقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م. بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج1، ص 45

بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته.[1]

بعد وفاة المنصور بن أبي عامر سنة 392هـ/1002م وقد بلغ قمة النفوذ والسلطة في الأندلس خلفه ابنه عبد الملك المظفر ، الذي حكم نحو سبع سنوات حافظ فيها على تماسك الدولة واستمرار سياستها ، ثم تولى الحكم أخوه عبد الرحمان بن المنصور لكنه لم يمتلك كفاءة والده ، فبدأ الضعف يتسلل إلى مفاصل الدولة ، أدى ذلك إلى تفكك السلطة المركزية وظهور بوادر الانقسام السياسي ، ومع مرور الوقت ، تشكلت دويلات الطوائف .[2]

العامل الثاني: العصبية القبلية والعرقية

من أبرز العوامل التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف العصبية القبلية والعرقية، حيث انقسم المجتمع الأندلسي إلى ثلاث مجموعات رئيسية: العرب والبربر والصقالبة[3]. يوضح ابن الخطيب أن هذه العصبية القبلية "أدت إلى إضعاف المجتمع الإسلامي لاحقا، كما أدت إلى تمزيقه حتى لم يعد يستطيع الوقوف في وجه الخطر النصراني"، كما أن الصراعات

[1] مصطفى أبو ضيف أحمد، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (422هـ/1031م)، الدار البيضاء للطباعة، 1993، ص 155

[2] عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 221

[3] الصقالبة هم العبيد أو المماليك من أصل أوروبي شرقي (سلافي)، جُلبوا إلى الأندلس في عصور مختلفة، وبرز بعضهم في مناصب سياسية وعسكرية، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص. 112.

الداخلية والحروب الأهلية التي عرفت بـ"فتنة الأندلس" ساهمت في تفكك الوحدة السياسية، حيث "قسموا الدولة إلى أكثر من عشرين دويلة".[1]

استشرت هذه العصبية بشكل كبير حتى بين العرب أنفسهم خلال العصر الأموي، ولم يمض وقت قصير حتى بدأت العصبية القبلية تنتشر بين مسلمي الأندلس، وبدأت تنخر في المجتمع الإسلامي، وهذا بلا شك، ما أثر على واقع المسلمين، حيث صارت تشكل خطرا ضد الوجود الإسلامي هناك، هذه النزعة العصبية التي ظهرت بشكل واضح في العصر الأموي، والتي أدت إلى استقواء النصارى على المسلمين، تمخض عنها سقوط الحكم الأموي سنة 422هـ، ليقوم على أنقاضه عدد من الكيانات السياسية التي قامت على أساس العصبية القبلية معلنة بذلك قيام عصر أمراء الطوائف.[2]

العامل الثالث: الحروب الأهلية والفتنة

عانت الخلافة الأموية في أواخر عهدها من حرب أهلية، عرفت باسم فتنة الأندلس، ونتيجة لذلك "اقتحمت الطوائف، هي إمارات صغيرة متنافسة تتقاتل". هذه الفتنة أدت إلى انهيار النظام السياسي الموحد وفتحت المجال أمام كل أمير للاستقلال بناحيته وإعلان نفسه

[1] محمد حكيم، الأدوار العسكرية والسياسية للبربر بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2014، ص 88

[2] محمد حكيم، المرجع السابق، ص 89

ملكا عليها. تعد الحروب الأهلية والصراعات الداخلية من أبرز الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية في الأندلس.[1]

العامل الرابع: التقسيم الإداري والجغرافي

في العقدين 1020 و1030م، بعد سقوط الخلافة، أنشأ ملوك الطوائف الذين قسموا الدولة إلى 22 دويلة، منها: غرناطة وإشبيلية، وألمرية وبلنسية، وطليطلة وسرقسطة، والبرازين والبداجوز، ودانية والبليار وموروز. وبينما ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، كان فيها عدم استقرار الحكم، والتناحر المستمر فيما بينها، وهما سببان رئيسيان في جعلها فريسة لمسيحيي الشمال.[2]

العامل الخامس: الطموحات الشخصية والصراعات على السلطة

وصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس، وكانوا يستعينون به على بعضهم البعض. فصار كل منهم، (ملوك الطوائف)، يشن الغارة على جاره إلى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين، حتى لم يبق في أيديهم إلا ما هو ضمان إتاوة في كل عام مقررة. هذا الوضع جعل ملوك الطوائف هي فترة تاريخية التي مرت بها

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 249

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المرجع السابق، ص 60-63

الأندلس تعتبر بداية النهاية لدولة إسلامية عظيمة فقد كانت واحدة من أصعب الأوقات في التاريخ الأندلسي بأكمله.[1]

المطلب الثاني: أبرز الدويلات الطائفية في الأندلس

يوثق ابن الخطيب في مؤلفاته أهم الدويلات الطائفية التي نشأت بعد سقوط الخلافة الأموية، والتي بلغ عددها اثنتين وعشرين دويلة حسب ما ذكره في كتاب "أعمال الأعلام". من أبرز هذه الدويلات مملكة إشبيلية التي حكمها بنو عباد، والتي يعتبرها ابن الخطيب "الأضخم" بين ممالك الطوائف، حيث كان "بلاطهم الأفخم، وجيشهم هو الأكبر بين ملوك الطوائف". كما يذكر مملكة غرناطة التي حكمها بنو زيري في الفترة من (403-483هـ=1013-1090م)، ومملكة سرقسطة في الثغر الأعلى التي حكمها بنو هود.[2]

مملكة إشبيلية (بنو عباد) 414-484هـ

تعد مملكة إشبيلية من أقوى وأهم الدويلات الطائفية، حيث حكمها بنو عباد لمدة سبعين عاما. بدأت هذه المملكة عام 414هـ عندما نجح أبو الوليد بن عباد في التخلص من بقايا نفوذ البربر في إشبيلية، وأقر الإشبيليون انفراده بالسلطة في المدينة. على مدار عشرين عاما من حكم أبي الوليد بن عباد، بدأت مملكة إشبيلية تتوسع شيئا فشيئا على حساب جيرانها، وممالك الطوائف المجاورة. حدثت صدامات دموية عنيفة مع مملكة

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 215

[2] حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 216

بطليوس من أجل مد النفوذ غربا باتجاه أراضي البرتغال الحالية، كما اصطدمت قوات ابن عباد شمالا مع مملكة طليطلة الواقعة في قلب شبه الجزيرة.[1]

مملكة غرناطة (بنو زيري) 403-483هـ

حكم بنو زيري مملكة غرناطة من عام 403هـ/1013م حتى سقوط ملكهم على يد المرابطين عام 483هـ/1090م. تقع هذه المملكة في جنوب الأندلس، وكانت من الممالك المهمة التي استطاعت الحفاظ على استقلاليتها لفترة طويلة نسبيا. يوثق ابن الخطيب في "الإحاطة في أخبار غرناطة" تفاصيل حكم هذه الأسرة وعلاقاتها مع الممالك المجاورة.[2]

مملكة سرقسطة (بنو هود) 410-536هـ

تعد مملكة سرقسطة[3] من أهم وأخطر الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس، خاصة في عصر ملوك الطوائف، اكتسبت الأهمية من اتساع المساحة الجغرافية لسرقسطة، إذ تشمل في الجغرافيا الأندلسية مدينة سرقسطة وأعمالها، تطيلة، ووشقة، وبربشتر، ولاردة، وإفراغة، وطرقونة، وطرطوشة. اجتمعت كلمة أهل سرقسطة على سليمان بن هود[4] كأمير عليهم

---

[1] خولة عمامرة، "دويلة إشبيلية في عهد أسرة بني عباد"، مجلة متيجة، جامعة البليدة 2، ع 7، 2022، ص 161

[2] ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة. المرجع السابق، ص 125

[3] سرقسطة: مدينة شمال شرق الأندلس، عاصمة الثغر الأعلى، اشتهرت بموقعها الاستراتيجي ودورها في مقاومة الغزو المسيحي. ينظر: Codera y Zaidín، مرجع سابق، ص 556.

[4] سليمان بن هود: هو أول حكام بني هود في سرقسطة، تلقب بالمستعين بالله، وبسط سلطانه على الثغر الأعلى عام 431هـ. ينظر: ابن الخطيب، مرجع سابق، ج1، ص 67؛ عنان، مرجع سابق، ج3، ص 245.

وتلقب بالمستعين بالله وذلك في محرم سنة 431هـ، ومنذ هذا التاريخ بسط بنو هود سلطانهم[1] على الثغر الأعلى لبلاد الأندلس.[2]

دويلات أخرى مهمة

من الدويلات الأخرى التي يذكرها ابن الخطيب: بنو جهور[3] في قرطبة (422-449هـ)، بنو حمود[4] في مالقة (407-449هـ)، بنو رزين في السهلة (402-497هـ)، بنو ذي النون في طليطلة (400-478هـ)، بني الأفطس[5] في بطليوس (413-487هـ)، وبنو هارون[6] في شنتمرية الغرب.

---

[1] بنو هود: أسرة عربية أندلسية حكمت سرقسطة والثغر الأعلى بالأندلس من 410هـ حتى 536هـ، عرفت بقوتها العسكرية وتحالفاتها المتغيرة مع القوى المسيحية. ينظر: ابن الخطيب، مرجع سابق، ج1، ص 66؛ الموسوعة العربية العالمية، ج22، ص 119.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 244

[3] بنو جهور: أسرة أندلسية حكمت قرطبة بعد سقوط الخلافة الأموية (422-449هـ)، عرفت بإدارة الحكم الجماعي. ينظر: ابن الخطيب، مرجع سابق، ج1، ص 68.

[4] بنو حمود: أسرة أمازيغية حكمت مالقة وجزءاً من الأندلس (407-449هـ)، أسسوا إمارة مستقلة بعد سقوط قرطبة. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج22، ص 121.

[5] بنو الأفطس: أسرة أمازيغية حكمت بطليوس (413-487هـ)، اشتهروا برعايتهم للعلم والأدب. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج22، ص 122

[6] بنو هارون: أسرة أندلسية حكمت شنتمرية الغرب، عرفت باستقلالها المؤقت قبل ضمها لإشبيلية. ينظر: ابن الخطيب، مرجع سابق، ج1، ص 70.

يشير ابن الخطيب إلى أن هذه الدويلات "ورثت ثراء الخلافة، إلا أن الانحطاط هو ما طبع عصرهم"، وقد تنوعت هذه الممالك من حيث القوة والامتداد، حيث "تتغير حدود عدد منها بين مد وجزر، بسبب نزاعها فيما بينها أو مع ممالك إسبانيا المسيحية والضعيفة منها، تحتويها أحيانا المملكة القوية"، كما يصف ابن الخطيب حالة هذه الممالك بقوله: "فصار كل منهم (ملوك الطوائف)، يشن الغارة على جاره إلى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين، حتى لم يبق في أيديهم إلا ما هو ضمان إتاوة في كل عام مقررة".[1]

وصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس، وكانوا يستعينون به على بعضهم البعض، هذا الوضع جعل ملوك الطوائف فترة تاريخية تعتبر بداية النهاية لدولة إسلامية عظيمة، فقد كانت واحدة من أصعب الأوقات في التاريخ الأندلسي بأكمله.[2]

[1] ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص 72

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 251

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف

المطلب الأول: الحياة الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف

أولا: الزراعة وتطور وسائل الري

كانت الزراعة العمود الفقري للاقتصاد الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، حيث تميزت الأندلس بخصوبة أراضيها وتنوع مناخها ووفرة مياهها، مما جعلها من أغنى بلاد الله بالثمار والفواكه وكثرة المياه، كما أشار المقري في وصفه للبلاد. اعتمد الأندلسيون على خبراتهم الزراعية التي جلبوها من المشرق، فقاموا باستصلاح الأراضي، وإدخال نظام المدرجات الجبلية، وحفر الأقنية والسواقي، وبناء السدود لتخزين مياه الأمطار، وتنظيم توزيع المياه عبر قنوات معقدة. أدى ذلك إلى إنتاج ثلاثة أو أربعة مواسم زراعية في العام الواحد، وظهرت محاصيل جديدة مثل الزعفران وقصب السكر والحمضيات والرمان والتين والعنب والزيتون، بالإضافة إلى القطن والأرز.[1]

برز في هذا العصر علماء زراعة كبار مثل ابن بصال الطليطلي الذي أشرف على حدائق بني ذي النون في طليطلة، وكتب مؤلفه الشهير "الفلاحة" الذي تناول فيه أنواع النباتات وطرق الري ومكافحة الآفات الزراعية. كما اشتهر الطغنري الغرناطي بكتابه "زهرة البستان ونزهة الأذهان"، وبرز ابن وافد الطليطلي في الإشراف على بساتين الأمراء وتجارب

[1] المقري، أحمد بن محمد التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 112

الغراس. هذه الجهود العلمية انعكست على تطور الزراعة وازدهارها، حتى أصبحت الأندلس تصدر خبراتها الزراعية إلى أوروبا، ودخلت مصطلحاتها الزراعية إلى اللغات الأوروبية. [1]

ثانيا: الصناعة

شهدت الصناعة في عصر ملوك الطوائف ازدهارا ملحوظا، خاصة في المدن الكبرى مثل ألمرية[2] وقرطبة وإشبيلية ومالقة[3]. تميزت ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح بتقدم صناعي كبير، حيث اشتهرت بصناعة السفن والرخام والحلي والأثاث، وبلغت شهرتها الآفاق في صناعة النسيج والمعادن والزجاج والفخار والزيوت. كما برع الأندلسيون في صناعة المنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية، وذاع صيتهم في فنون الصباغة، مما أكسب ملابسهم ألوانا زاهية وفاخرة.[4]

---

[1] هشام البقالي، "نظرات على الحياة الاقتصادية للأندلس عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، العدد السابع والأربعون، مارس 2020، ص31

[2] برزت مدينة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح كمركز صناعي متقدم، واشتهرت بصناعة السفن، والرخام، والحلي، والأثاث، وصناعة النسيج والمعادن والزجاج والفخار والزيوت. بلغ عدد ورش الحرير في ألمرية نحو 800 ورشة في منتصف القرن السادس الهجري، وكانت تصدر منتجاتها إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي وأوروبا، ينظر : تواتية بودالية، "الصناعة الأندلسية ورصد التفاصيل"، دورية كان التاريخية، العدد 37، 2019، ص. 11

[3] قرطبة وإشبيلية ومالقة: اشتهرت هذه المدن بصناعة المنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية، وصناعة الحلي والتحف والأواني والأثاث، وذاع صيت الأندلسيين في فنون الصباغة، مما أكسب ملابسهم ألوانًا زاهية وفاخرة. كما ازدهرت صناعة السجاد والبسط، وبرزت دور الطراز في قصور الأمراء لصناعة الأثواب المطرزة بالذهب والحرير، يتظر: : تواتية بودالية، المرجع السابق، ص 14

[4] قاسم عبد سعدون الحسيني، "الذهب واستخداماته في الأندلس"، مجلة كلية التربية، جامعة ميسان، 2022، ص. 58

أما الصناعات التعدينية، فقد استفادت من وفرة المعادن مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد، فانتشرت صناعة الفخار المذهب والفسيفساء ودباغة الجلود وصناعة الورق والسجاد. ساهمت هذه الصناعات في دعم الاقتصاد المحلي، ووفرت فرص عمل واسعة، كما شجعت على ازدهار التجارة الداخلية والخارجية.[1]

ثالثا: التجارة الداخلية والخارجية

لعبت التجارة دورا محوريا في الحياة الاقتصادية للأندلس خلال عصر الطوائف، حيث استفادت البلاد من موقعها الجغرافي المتميز الذي جعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب. ازدهرت التجارة الخارجية عبر الموانئ الأندلسية، خاصة في بلنسية ومالقة وإشبيلية وألمرية، حيث كانت تصدر المنتجات الزراعية والصناعية إلى مختلف أنحاء البحر المتوسط، وتستورد بضائع من مصر والشام والمشرق الإسلامي. كما ساهمت رحلات الحج وطلب العلم في تعزيز العلاقات التجارية مع منطقة الخليج العربي، وأصبحت موانئ الأندلس محطات رئيسية لتصدير واستقبال السلع النادرة.[2]

أما التجارة الداخلية، فقد نشطت بين المدن والقرى، وساعدت شبكة الطرق البرية والبحرية على تسهيل نقل البضائع وتبادل المنتجات بين المناطق المختلفة. ومع ذلك،

[1] قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 59-60

[2] رابح رمضان ، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة السانية ، وهران، 2007-2008، ، ص. 45

تأثرت التجارة أحيانا بالحروب والصراعات الداخلية، وفرض الضرائب والإتاوات، مما أدى إلى تراجعها في بعض الفترات.

اعتمدت الدويلات الطائفية على الضرائب والخراج والجزية كمصادر رئيسية للدخل، حيث فرضت ضرائب متنوعة على الأراضي الزراعية، والمحاصيل، والتجارة، والأسواق. كان بعض ملوك الطوائف يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس ملك قشتالة مقابل الحماية أو لمساعدتهم ضد جيرانهم المسلمين، ما شكل عبئا ماليا كبيرا على الدويلات. كما فرض بعض الحكام الإتاوات المالية والضرائب القاسية على الرعية، مما أدى إلى هجرة السكان من مناطقهم بحثا عن حياة أفضل.[1]

في المقابل، شهدت بعض الدويلات استقرارا ماليا نسبيا بفضل حسن إدارة الموارد، كما في دولة بني جهور في قرطبة، حيث وفر الحاكم الأمن والطمأنينة للناس في بداية حكمه. إلا أن كثرة الضرائب والمكوس في فترات الاضطراب أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار الفقر بين عامة الناس.[2]

كان التفاوت الاقتصادي واضحا بين الدويلات الطائفية، فبينما ازدهرت مدن مثل إشبيلية وبلنسية وألمرية بفضل الاستقرار النسبي وتطور الزراعة والصناعة والتجارة، عانت مدن أخرى مثل طليطلة ومالقة من الفقر نتيجة الحروب والحصار المستمر. انعكس هذا

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 224

[2] نور الدين الصغير، المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 19، العدد 1، 2022، ص. 112-113

التفاوت على مستوى معيشة السكان، حيث عاش بعضهم في رغد وثراء، بينما عانى آخرون من الفاقة والحرمان.

تنافس أمراء الطوائف في بناء القصور الفخمة وتزيينها، كما في قصر المكرم للمأمون بن ذي النون في طليطلة وقصور المعتمد بن عباد في إشبيلية، حيث زخرفت الجدران بالرخام والذهب، وزينت الحدائق بالتماثيل والنوافير. كان هذا الترف يعكس ثراء الفئة الحاكمة، لكنه جاء غالبا على حساب عامة الشعب الذين أثقلتهم الضرائب وعانوا من الفقر.[1]

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف

أولا: البنية الاجتماعية في المجتمع الأندلسي

شهدت الأندلس في عصر ملوك الطوائف (422-484هـ/1031-1091م) تباينا اجتماعيا واضحا، حيث انقسم المجتمع إلى فئات، أبرزها فئة الأمراء والحكام وكبار الأغنياء، وفئة التجار وأصحاب الحرف، وفئة الفقراء والعامة. تميزت الفئة الحاكمة بالثراء والترف، إذ تنافس أمراء الطوائف في بناء القصور الفخمة وتزيينها، كما في قصر المكرم للمأمون بن ذي النون في طليطلة وقصور المعتمد بن عباد في إشبيلية، بينما عانى عامة الشعب من الفقر والحرمان نتيجة الضرائب الباهظة والحروب المستمرة.[2]

---

[1] نور الدين الصغير،المرجع السابق، ص 130-133

[2] خميسى بولعراس، "الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف"، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012، ص. 45

أما الفئة الوسطى، فقد ضمت التجار الكبار والمتوسطين وأصحاب الأعمال والمشاريع الصناعية وموظفي الدولة والملاكين الصغار، وكان لها دور مهم في دعم الاقتصاد المحلي، لكنها لم تصل إلى مستوى ثراء الفئة الأرستقراطية. أما الفئة الدنيا، فشملت العمال والفلاحين والحرفيين وصغار التجار، وكانت الأكثر تأثرا بالأزمات والحروب، وتعرضت للظلم والتعسف من قبل الحكام.[1]

ثانيا: التنوع العرقي والديني

تكون المجتمع الأندلسي من عناصر بشرية متعددة: العرب، البربر، الصقالبة، المولدون (المسلمون من أصل إسباني)، المستعربون (المسيحيون الذين عاشوا بين المسلمين وتبنوا عاداتهم)، واليهود. أدى هذا التنوع إلى نشوء نسيج اجتماعي فريد، حيث تداخلت الأعراق والثقافات، وبرزت المصاهرة بين المسلمين والمسيحيين، خاصة في بدايات الفتح، كما تزاوج العرب والبربر مع الإسبانيات، وظهر جيل جديد من المولدين الذين لعبوا دورا بارزا في الحياة الاقتصادية والثقافية.[2]

رغم هذا التعايش، ظهرت النزعة العنصرية والعصبية القبلية، خاصة بين العرب والبربر، مما أدى إلى صراعات داخلية أثرت سلبا على وحدة المجتمع، وساهمت في إضعافه أمام الخطر المسيحي القادم من الشمال.

[1] خميسى بولعراس، المرجع السابق، 46

[2] خميسى بولعراس، مرجع نفسه ، ص. 61

ثالثا: الحياة اليومية والعادات الاجتماعية

اتسمت الحياة اليومية في عصر الطوائف بتفاوت كبير بين الفئات الاجتماعية. فقد عاش الأمراء وأهل البلاط في ترف وبذخ، حيث انتشرت مظاهر اللهو والغناء والصيد، وتفننوا في تزيين قصورهم وحدائقهم، بينما عاش عامة الناس حياة بسيطة يغلب عليها العمل في الزراعة والصناعة، وكانوا يتحملون أعباء الضرائب والإتاوات التي فرضها الحكام لتمويل حروبهم وبناء قصورهم.[1]

انتشرت في المجتمع عادة شرب الخمر بين الطبقة الأرستقراطية، كما ظهرت ظاهرة الغلمان في مجالس الأدباء والشعراء، وبرزت مجالس الطرب والغناء في قصور الحكام. أما في الأوساط الشعبية، فقد سادت قيم التعاون والتكافل، خاصة في الأزمات، وكان الناس يتعاونون في الزراعة والحرف والمناسبات الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والأدبية والفكرية في عصر ملوك الطوائف

أولا: ملامح الحياة الثقافية

رغم الانقسام السياسي والصراعات الداخلية، شهدت الأندلس في عصر ملوك الطوائف (422-484هـ/1031-1091م) نهضة ثقافية بارزة، حيث تنافس أمراء الطوائف في رعاية

[1] خميسى بولعراس، مرجع سابق، ص. 71

العلماء والأدباء، وتحولت قصورهم إلى منتديات للعلم والفن. أسهمت الأوقاف في تمويل المدارس والمكتبات، مما أتاح للعلماء وطلاب العلم فرصا واسعة للبحث والتأليف. انتشرت المكتبات الخاصة والعامة في المدن الكبرى مثل إشبيلية وقرطبة وبلنسية وسرقسطة، وبرزت ظاهرة اقتناء الكتب وتأسيس المكتبات، حتى أصبحت الأندلس منارة للعلم في الغرب الإسلامي.[1]

كان عصر ملوك الطوائف من أزهى عصور الأدب الأندلسي، حيث ازدهر الشعر والنثر بشكل غير مسبوق. كان العديد من الملوك أنفسهم شعراء وأدباء، مثل المعتمد بن عباد في إشبيلية والمعتضد بن عباد، واحتضن بلاطهم كبار الشعراء كابن زيدون (ت 463هـ) الذي عاش في بلاط بني جهور بقرطبة، وأبو بكر بن عمار، وابن عبدون في بطليوس، وابن حمديس الصقلي، وابن خفاجة الأندلسي. تميز الشعر الأندلسي في هذا العصر بتنوع أغراضه، فظهر شعر المدح والهجاء والرثاء والغزل، وبرزت موضوعات جديدة مثل رثاء المدن ووصف العمران والترف، كما انتشر شعر السجن نتيجة الصراعات السياسية.[2]

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، 1962، ص. 14

[2] خميسى بولعراس، المرجع السابق، ص 139-140

لم يقتصر الإبداع الأدبي على الشعر، بل نشطت حركة التأليف في النثر، وظهرت الرسائل الأدبية والمقامات، وبرزت أسماء مثل ابن بسام الشنتريني صاحب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، وابن حزم الظاهري الذي جمع بين الأدب والفقه والفكر.[1]

ثانيا: الحركة الفكرية والعلمية

رغم الاضطرابات السياسية، شهدت الأندلس نشاطا علميا وفكريا ملحوظا. برز علماء كبار في الفقه والحديث والتفسير والفلسفة، من أشهرهم:

ابن حزم الظاهري (ت 456هـ): فقيه ومفكر موسوعي، له مؤلفات في الفقه والأصول والمنطق والأدب، أشهرها "طوق الحمامة" و"الفصل في الملل والنحل".

أبو الوليد الباجي (ت 474هـ): فقيه مالكي وقاضٍ، دعا إلى وحدة المسلمين في الأندلس، وله مؤلفات في الفقه والحديث.

ابن عبد البر (ت 463هـ): محدث وفقيه ومؤرخ، له كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، وشارك في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

[1] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج1، ص. 89-

كما نشطت الدراسات الفلسفية والمنطقية، وظهرت ترجمات لكتب الفلسفة اليونانية، وازدهرت العلوم التطبيقية مثل الطب والفلك والرياضيات، وبرزت أسماء مثل ابن وافد الطليطلي في الطب والنبات.[1]

أسهمت الأوقاف في تأسيس المدارس والمكتبات، فانتشرت المكتبات العامة والخاصة في المدن الكبرى، مثل مكتبة المسجد الجامع بقرطبة ومكتبة طليطلة، التي كانت مقصدا للطلاب من الأندلس وأوروبا. أتاح هذا المناخ الثقافي تواصلا علميا مع المشرق الإسلامي، حيث جلب العلماء كتبا ومخطوطات من بغداد والقاهرة، وأسهمت الرحلات العلمية في إثراء الحياة الفكرية بالأندلس.[2]

[1] السيد عبد العزيز سالم: "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، 1997م، ج2، ص171-173

[2] القفطي عصام الدين عبد الرؤوف: "تاريخ المغرب والأندلس"، مكتبة غنضة الشرق، (د.ط)، القاهرة، 1990م، ص209

الفصل الثالث:

دراسة نقدية لعصر ملوك الطوائف من خلال مؤلفات لسان الدين

المبحث الأول: نقد ابن الخطيب للواقع السياسي والاجتماعي في عصر ملوك الطوائف

المطلب الأول: الانقسام السياسي

شهدت الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية انقساما سياسيا عميقا، حيث تحولت البلاد إلى أكثر من عشرين دويلة متناحرة، لكل منها حاكمها وجيشها وسياساتها الخاصة.

ويقول ابن الخطيب حول هذا الانقسام:

"وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات".[1]

هذه المقولة تعكس مدى عمق العداء والتنافس بين ملوك الطوائف، حيث أصبحت الصراعات الداخلية أكثر ضراوة من تلك التي قد تحدث بين القبائل أو الأسر المتصارعة. يرى ابن الخطيب أن هذا التناحر أدى إلى تبديد القوى الإسلامية في صراعات عقيمة، بدلا من توحيدها لمواجهة التهديد المسيحي من الشمال. وهو ما يفسر ضعف المسلمين في تلك المرحلة، حيث فقدوا وحدتهم السياسية والعسكرية، مما أثر سلبا على قدراتهم الدفاعية.

ويقول ابن الخطيب حول ما ورثته هذه الدويلات من ثراء الخلافة:

"ورثت هذه الدويلات ثراء الخلافة، إلا أن الانحطاط هو ما طبع عصرهم، وكانت حدودها تتغير باستمرار بسبب النزاعات الداخلية أو مع الممالك المسيحية المجاورة".[2]

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص66

[2] ابن الخطيب، نفسه ، ص 68

يؤكد ابن الخطيب هنا أن ملوك الطوائف ورثوا حضارة وثراء الدولة الأموية، لكنهم لم يحسنوا استثماره، بل أضاعوه في نزاعات داخلية، مما أدى إلى انحطاط سياسي واجتماعي واضح. تغيرت حدود الدويلات باستمرار بسبب الحروب فيما بينها أو مع الممالك المسيحية المجاورة، وهو ما يعكس حالة عدم الاستقرار التي عاشتها الأندلس في تلك الفترة.[1]

المطلب الثاني : التحالفات مع القوى المسيحية

يعد نقد ابن الخطيب لتحالفات ملوك الطوائف مع القوى المسيحية من أبرز المحاور في تحليله لأسباب ضعف الأندلس وسقوطها. لم ينظر ابن الخطيب إلى هذه التحالفات كخيار سياسي ظرفي، بل اعتبرها انعكاسا لأزمة عميقة في القيادة والرؤية لدى حكام الأندلس، وسببا مباشرا في فقدان المسلمين زمام المبادرة أمام العدو الخارجي.

شهد عصر الطوائف لجوء الأمراء المسلمين إلى الاستعانة بملوك الشمال المسيحيين، وعلى رأسهم ألفونسو السادس ملك قشتالة، من أجل الحفاظ على عروشهم أو توسيع نفوذهم، حتى لو كان ذلك على حساب وحدة المسلمين ومصالحهم العليا[2].

هذا التحالف لم يكن مجرد إجراء سياسي، بل تحول إلى دفع الجزية السنوية للملوك المسيحيين، كما حدث مع المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف، حيث كان ألفونسو السادس يرسل رسله سنويا لقبض الجزية من ملوك الأندلس.

---

[1] محمد عبد الحميد حسين، "ملوك الطوائف وكيفية تجاوزهم لبعض شروط الخلافة بالأندلس (403-484هـ/1012-1051م)"، مجلة جامعة ام درمان الاسلامية، مجلد 10، العدد 2 (2022)، ص 122.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 58

ينتقد ابن الخطيب بشدة هذا السلوك، ويرى فيه علامة على الانحطاط السياسي والأخلاقي، ويعتبره من أخطر أسباب ضعف الدولة الإسلامية بالأندلس. ويقول حول نتائج هذه التحالفات:

"يشن الغارة على جاره إلى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين، حتى لم يبق في أيديهم إلا ما هو ضمان إتاوة في كل عام مقررة".[1]

كما ينقل ابن الخطيب عن ألفونسو السادس قوله في احتقاره لملوك الطوائف:

"كيف أترك قوما مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وكل واحد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفا".[2]

هذه المقولات تعكس مدى فقدان ملوك الطوائف لمهابتهم أمام العدو، وتحولهم إلى أدوات في يد القوى المسيحية، وهو ما أدى إلى استغلال العدو لهذا الضعف لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية على حساب المسلمين.

يرى ابن الخطيب أن هذه التحالفات كانت من أهم عوامل الضعف والانقسام، وساهمت في تسريع سقوط المدن الإسلامية الكبرى مثل طليطلة عام 478هـ/1085م. كما يربط بين هذه

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج1، ص74

[2] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص135

السياسات وبين بداية العد التنازلي للوجود الإسلامي في الأندلس، حيث فقد المسلمون وحدتهم وقوتهم، وأصبحوا رهينة للعدو الخارجي.[1]

يبرز ابن الخطيب أن التحالف مع القوى المسيحية لم يكن مجرد خطأ سياسي، بل كان انعكاسا لأزمة عميقة في القيادة والرؤية لدى ملوك الطوائف. لقد أدى هذا السلوك إلى فقدان الثقة بين المسلمين، وإلى استغلال العدو لهذا الانقسام، مما جعل من الصعب استعادة المبادرة أو الدفاع عن الأرض والعقيدة. ويؤكد ابن الخطيب أن هذه المرحلة كانت بداية النهاية لدولة إسلامية عظيمة، وأنها تعتبر واحدة من أصعب الأوقات في التاريخ الأندلسي بأكمله.[2]

المطلب الثالث: التحليل الاجتماعي والاقتصادي

أولا: التحليل الاجتماعي

يركز ابن الخطيب في نقده لعصر ملوك الطوائف على تفكك البنية الاجتماعية للأندلس، حيث يصف المجتمع بأنه ممزق بفعل العصبيات القبلية والعرقية بين العرب والبربر والصقالبة، ويقول حول ذلك:

[1] لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص 245

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 125

"وكانت العصبية بين العرب والبربر والصقالبة من أسباب الضعف والانقسام، حتى لم يبق للمسلمين قوة، وصاروا كالغنم بين الذئاب، وكل يريد أن يغلب الآخر، فلم يقدروا على مقاومة العدو."[1]

أي أن العصبية القبلية والعرقية التي انقسم على أساسها المجتمع الأندلسي إلى ثلاث مجموعات رئيسية: العرب والبربر والصقالبة، أدت إلى إضعاف المجتمع الإسلامي لاحقا، كما أدت إلى تمزيقه حتى لم يعد يستطيع الوقوف في وجه الخطر النصراني.

ويقول في الانحلال الأخلاقي الذي شهده:

"وأصبحوا حقيرين في عين العدو وأقل من أن يهتم بهم"[2]

فينتقد ابن الخطيب مظاهر الترف والانحلال الأخلاقي التي انتشرت بين طبقات النخبة الحاكمة، ويصف انتشار المجون والخلاعة وشرب الخمر والاستغراق في الملذات الجسدية بين كثير من ملوك الطوائف، ويرى أن هذا الانحلال أدى إلى زوال مهابة المسلمين عند النصارى، حيث أصبحوا "حقيرين في عين العدو وأقل من أن يهتم بهم.

ثانيا: التحليل الاقتصادي

[1] لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،تحقيق :ليفي بروفنسال ، مطبوعات معهد الدراسات العليا المغربية ، الرباط ، 1956، ص 250

[2] لسان الدين ابن الخطيب، نفسه، 258

يقدم ابن الخطيب تحليلا نقديا للوضع الاقتصادي في عصر الطوائف، حيث يربط بين الأزمات الاقتصادية وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية. ويشير إلى أن فرض الضرائب والمكوس الباهظة كان من أبرز مظاهر الظلم الاقتصادي، إذ لجأ ملوك الطوائف إلى إثقال كاهل الرعية بالضرائب من أجل تمويل حروبهم الداخلية أو دفع الجزية للنصارى.

ويقول ابن الخطيب حول ذلك:

"وقد ضرب صاحب سرقسطة المقتدر بالله أحمد بن هود على رعيته ضريبة ، ليدفعها للنصارى".[1]

كما يصف كيف أن بعض الأمراء استولوا على أموال الناس بمختلف الطرق، مما أدى إلى هجرة السكان وتدهور النشاط التجاري والزراعي في بعض المناطق.

ويلاحظ ابن الخطيب أن الحياة الاقتصادية في الأندلس كانت بين مد وجزر، حيث عاش الناس فترات من الرخاء بفضل وفرة المنتجات الزراعية والصناعية، لكنهم مروا أيضا بأوقات من الفاقة بسبب الحروب والاضطرابات السياسية.[2]

ويشير إلى أن المدن التجارية المزدهرة تحولت إلى قلاع وحصون عسكرية، وأن الأسواق خلت من النشاط بسبب النزاعات بين الأمراء، كما حدث في بطليوس وشاطبة وغيرها.

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين ، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار مكشوف 1956 ،ص 173

[2] ابن الخطيب، لسان الدين. الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق عبد الله عدنان ، القاهرة ، دار المعارف ، ج1 ، ص 283

يبرز ابن الخطيب في تحليله أن الأزمات الاجتماعية والاقتصادية لم تكن منفصلة عن بعضها، بل كانت نتيجة مباشرة للانقسام السياسي والصراعات الداخلية بين ملوك الطوائف. ويرى أن غياب العدالة الاجتماعية، وانتشار العصبيات، وفرض الضرائب الباهظة، والانحلال الأخلاقي، كلها عوامل ساهمت في إضعاف المجتمع الأندلسي وجعلته عاجزا عن مواجهة التحديات الخارجية.[1]

ويخلص ابن الخطيب إلى أن عصر ملوك الطوائف كان مثالا على كيف يمكن أن تؤدي الانقسامات الاجتماعية والظلم الاقتصادي إلى انهيار المجتمعات والدول، وأن الدروس المستفادة من تلك المرحلة تؤكد ضرورة الوحدة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية كأساس لقوة الدولة واستقرارها.

المبحث الثاني: مقارنة ابن الخطيب بين عصر ملوك الطوائف والعصور الأخرى في الأندلس

المطلب الأول: مقارنة ابن الخطيب بين عصر الطوائف وعصر المرابطين

يرى ابن الخطيب أن عصر ملوك الطوائف كان عصر انقسام سياسي حاد، حيث تحولت الأندلس إلى أكثر من عشرين دويلة متناحرة، لكل منها حاكمها وجيشها وسياساتها الخاصة، مما جعل من المستحيل تنسيق الجهود العسكرية لمواجهة التهديدات الخارجية.[2]

[1] حسين مؤنس. المرجع السابق، ص 87

[2] ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المرجع السابق، ص 67

في المقابل، جاء عصر المرابطين ليعيد للأندلس وحدتها السياسية، حيث استطاع يوسف بن تاشفين توحيد البلاد تحت راية واحدة، ووقف الزحف المسيحي، وحقق انتصارات عسكرية مهمة مثل معركة الزلاقة، وهو ما لم يكن ممكنا في ظل الانقسام الطائفي.

يلاحظ ابن الخطيب أن المرابطين جلبوا معهم روحا إصلاحية دينية، ففرضوا المذهب المالكي ووحدوا الممارسات الدينية، بينما كان عصر الطوائف يشهد تسيبا دينيا وتراجعا في الالتزام الأخلاقي. ويشير إلى أن المرابطين، رغم بعض مظاهر الشدة، أعادوا للأندلس هيبتها أمام القوى المسيحية، وحققوا استقرارا نسبيا في المجتمع، في حين أن ملوك الطوائف انشغلوا بالترف واللهو وأهملوا شؤون الرعية.[1]

شهد عصر الطوائف ازدهارا أدبيا وفنيا كبيرا، حيث تنافس الأمراء في رعاية العلماء والشعراء، بينما اتسم عصر المرابطين بقدر من التشدد الديني الذي أدى إلى تراجع بعض مظاهر الحياة الفكرية، مثل إحراق كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي ونفي بعض الفلاسفة والمفكرين. ومع ذلك، يشير ابن الخطيب إلى أن بعض حكام المرابطين في الأندلس لم يختلفوا عن ملوك الطوائف في حبهم للشعر ورعايتهم للأدباء، لكن الأولوية كانت دائما للفقهاء وأهل الدين.[2]

[1] محمد عبد الله عنان. المرجع السابق، ص 229

[2] حسين مؤنس. المرجع السابق، ص 217

ينتقد ابن الخطيب ملوك الطوائف بسبب استبدادهم بالسلطة وفرضهم الضرائب والمكوس الباهظة على الرعية، بينما يرى أن المرابطين، رغم صرامتهم، كانوا أكثر عدلا في إدارة شؤون البلاد، وحققوا قدرا من الاستقرار الإداري والمالي.

يبرز ابن الخطيب أن العلماء في عصر المرابطين كان لهم دور كبير في توجيه السياسة العامة، بينما في عصر الطوائف كان بعض العلماء منشغلين بالمصالح الشخصية أو الإنتاج الأدبي دون مواجهة الفساد السياسي. ويشير إلى أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من النخبة المثقفة، التي يجب أن توازن بين خدمة السلطان وخدمة المجتمع، وأن تظل وفية لقيم العدالة والوحدة.

يخلص ابن الخطيب إلى أن عصر المرابطين، رغم بعض مظاهر الشدة، كان ضرورة تاريخية لإنقاذ الأندلس من السقوط الكامل، وأن الوحدة السياسية والقيادة القوية هما الأساس في بقاء الدولة، بينما كان عصر الطوائف مثالا على خطورة الانقسام السياسي والاجتماعي، وما يترتب عليه من ضعف وانهيار حضاري[1]

المطلب الثاني: نقد الطبقة الحاكمة في عصر الطوائف

يؤكد ابن الخطيب أن كثيرا من حكام الطوائف لم يكن يمتلك شرعية حقيقية للحكم سوى القوة أو الحيلة، حيث اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا الأموال من الرعية، وجندوا الجنود، واحتكروا السلطة لأنفسهم دون اعتبار للمصلحة العامة. ويقول ابن الخطيب حول ذلك:

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج1، ص74–75

"اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب...".[1]

يرصد ابن الخطيب أن الطبقة الحاكمة كانت منشغلة بالتنافس على الحكم حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، مما أدى إلى شيوع الاضطرابات والانقلابات والاغتيالات السياسية،وقد أدى هذا التنافس إلى فقدان الثقة بين السلطة والشعب، وسهل على القوى الخارجية استغلال هذا الضعف لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية.[2]

ينتقد ابن الخطيب فرض الضرائب والمكوس الباهظة على الرعية، حيث كانت الأموال تنفق على الترف واللهو، بينما عانى عامة الناس من الفقر والحرمان.

كما أشار إلى أن بعض الأمراء استولوا على أموال الناس بمختلف الطرق، مما أدى إلى هجرة السكان وتدهور النشاط التجاري والزراعي في بعض المناطق. [3]

يبرز ابن الخطيب مظاهر الاضطهاد السياسي التي طالت العلماء والوزراء والقضاة وحتى أفراد الأسر الحاكمة، حيث أصبحت التصفيات السياسية وسيلة شائعة للتخلص من المنافسين، ويشير إلى أن عمليات التصفية لم تقتصر على الرجال، بل طالت النساء أيضا، مع اختلاف الأساليب حسب قوة كل مملكة من الممالك. يرى ابن الخطيب أن هذه

[1] ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : محمد عبد الله عدنان ،،ص 50

[2] ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص56

[3] ابن الخطيب لسان الدين، نفسه، ص90-92

السياسات زادت من حالة عدم الاستقرار، وأضعفت هيبة الدولة، وساهمت في تسريع انهيارها.[1]

المبحث الثالث: تقييم ابن الخطيب لأثر ملوك الطوائف على مصير الأندلس

المطلب الأول: دور ملوك الطوائف في إضعاف الدولة الإسلامية بالأندلس

يقدم ابن الخطيب تحليلا عميقا لدور ملوك الطوائف في إضعاف الدولة الإسلامية بالأندلس، حيث يرى أن "اشتغال ملوك الطوائف بتغلب بعضهم على بعض والتجاؤهم إلى ملوك الفرنجة مستنصرين بهم كان من أهم أسباب ضعف الدولة". كما يحلل كيف أن النزاعات العرقية والطائفية أسهمت في تصدع وحدة الأندلس.[2]

يصف ابن الخطيب في مؤلفاته كيف أن ملوك الطوائف انشغلوا بصراعاتهم الداخلية عن مواجهة العدو الحقيقي، هذا التناحر المستمر أدى إلى تبديد القوى الإسلامية في صراعات عقيمة بدلا من توحيدها لمواجهة التهديد المسيحي من الشمال.

يوثق ابن الخطيب كيف إن هذه الصراعات وصلت إلى درجة أن كل ملك "يشن الغارة على جاره إلى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين، حتى لم يبق في أيديهم إلا ما هو ضمان

[1] ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ،ص 129-131

[2] ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.تحقيق، إ.ليفي بروفنسال ، ص 132

إتاوة في كل عام مقررة". هذا الوضع جعل من السهل على القوى المسيحية استغلال هذا الانقسام لصالحها.[1]

من اخطر الممارسات التي يوثقها ابن الخطيب لجوء ملوك الطوائف إلى الاستعانة بالقوى المسيحية ضد إخوانهم المسلمين، يصف كيف أن "لجوء اغلب ملوك عصر الطوائف إلى ملوك النصرانية في الشمال الاسباني للاحتماء بهم أو طلب العون والدعم العسكري من اجل المحافظة على كرسي الحكم مقابل دفع مبالغ من أموال المسلمين" كان من أهم عوامل الضعف.

وصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك الفونسوا السادس، وكانوا يستعينون به على بعضهم البعض، هذا السلوك المدمر جعل العدو يدرك ضعف المسلمين ويستغله لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية على حسابهم.[2]

يحلل ابن الخطيب كيف إن العصبية القبلية والعرقية التي انقسم على أساسها المجتمع الأندلسي إلى ثلاث مجموعات رئيسية: العرب والبربر والصقالبة، "أدت إلى إضعاف المجتمع الإسلامي لاحقا، كما أدت إلى تمزيقه حتى لم يعد يستطيع الوقوف في وجه الخطر النصراني".

يوضح ابن الخطيب أن هذا المرض الذي انتشر في بلاد الأندلس "هو أهم الأسباب التي عملت على إضعافهم من النواحي كافة، سياسيا، اجتماعيا، معنويا، وماديا، جعلتهم

[1] ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ،ص 72

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص216

يعجزون عن إدارة شؤونهم فضلا عن مقاومة أعدائهم". كما يشير إلى أن "الصراعات المستمرة بين ملوك الطوائف أضعفت المقاومة الإسلامية أمام التقدم المسيحي من الشمال".[1]

يوثق ابن الخطيب مظاهر الضعف الأخلاقي التي انتشرت في عصر ملوك الطوائف، والتي ساهمت في إضعاف المجتمع الإسلامي. يصف انتشار "المجون والخلاعة وشرب الخمر والاستغراق في الملذات الجسدية والإكثار من الجواري والنساء" بين كثير من ملوك الطوائف.

هذا الانحلال الأخلاقي أدى إلى زوال مهابة المسلمين عند النصارى، حيث أصبحوا "حقيرين في عين العدو واقل من أن يهتم بهم"، وقد عبر الفونسو السادس عن هذا الاحتقار بقوله لرسول المعتمد بن عباد: "كيف اترك قوما مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وكل واحد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفا".[2]

يرى ابن الخطيب أن تفكك الوحدة السياسية والعسكرية كان من أخطر نتائج عصر ملوك الطوائف. فبدلا من دولة موحدة قوية، أصبحت الأندلس مقسمة إلى "أكثر من عشرين دويلة" ضعيفة ومتناحرة. هذا التفكك جعل من المستحيل تنسيق الجهود العسكرية لمواجهة التهديدات الخارجية.

---

[1] ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة.تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ص 142-143

[2] ابن الخطيب، لسان الدين .*أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*.تحقيق إ ليفي بروفنسال ، ص 312-315

يصف ابن الخطيب كيف أن هذه الدويلات "ورثت ثراء الخلافة، إلا أن الانحطاط هو ما طبع عصرهم". وقد تنوعت هذه الممالك من حيث القوة والامتداد، حيث "تتغير حدود عدد منها بين مد وجزر، بسبب نزاعها فيما بينها أو مع ممالك اسبانيا المسيحية، والضعيفة منها، تحتويها أحيانا المملكة القوية".[1]

المطلب الثاني: أثر سياسات ملوك الطوائف على الحياة الثقافية والعلمية

يشير ابن الخطيب إلى أن التنافس بين ملوك الطوائف دفع كل أمير إلى استقطاب العلماء والشعراء إلى بلاطه، فشهدت الأندلس نهضة أدبية وفنية ملحوظة، حيث أصبح لكل بلاط شاعر أو أكثر، وتبارى الحكام في تكريمهم ومنحهم الجوائز. هذا التنافس أدى إلى "ازدهار الأدب العربي وظهور قصائد ومؤلفات خالدة"، لكنه كان ازدهارا هشا، إذ ارتبط بمصالح الحكام الشخصية وليس بمشروع حضاري متكامل. ويلاحظ ابن الخطيب أن هذا الازدهار لم يكن شاملا، بل كان محصورا في بعض البلاطات التي أرادت التفاخر والتنافس، بينما بقيت مناطق أخرى تعاني من الإهمال الثقافي.[2]

يوضح ابن الخطيب أن الصراعات السياسية والانقسامات الداخلية أدت إلى تراجع واضح في الحركة العلمية والتعليمية، حيث انشغل الأمراء بالحروب والتحالفات، وأهملوا رعاية العلماء والمدارس والمكتبات. كثير من العلماء اضطروا إلى الهجرة إلى المشرق أو المغرب بحثا عن الأمان والاستقرار، مما أضعف البيئة العلمية في الأندلس. ويذكر ابن

---

[1] ابن الخطيب، لسان الدين .*الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان ، ص 101-103*

[2] بن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، .تحقيق إ ليفي بروفنسال ، ص 77

الخطيب أن "المدارس والمكتبات التي كانت مزدهرة في عهد الخلافة الأموية تراجعت مكانتها، وأصبح العلماء في كثير من الأحيان عرضة للتهميش أو الاستغلال السياسي".[1]

يربط ابن الخطيب بين الأزمات الاقتصادية وتراجع الإنتاج الثقافي، حيث يشير إلى أن فرض الضرائب الباهظة والمكوس، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، أثرا سلبا على رعاية الأدب والفنون. بعض الأدباء اضطروا إلى مدح الأمراء طمعا في العطاء أو هربا من الفقر، كما أغلقت بعض دور العلم أو تراجعت مكانتها بسبب نقص الموارد أو النزاعات. ويؤكد ابن الخطيب أن "الظروف الاقتصادية الصعبة دفعت كثيرا من المبدعين إلى الهجرة أو الانزواء، مما أضعف الحركة الثقافية بشكل عام".[2]

يلاحظ ابن الخطيب أن تعدد الدويلات أدى إلى ظهور مراكز ثقافية متعددة، حيث أصبحت كل مدينة كبرى مركزا للعلم والأدب، مثل إشبيلية في عهد بني عباد وسرقسطة في عهد بني هود. هذا التنوع ساهم في إثراء الحياة الثقافية، إذ تنافست الدويلات في جذب العلماء والمفكرين، وبرزت مدارس فكرية متنوعة في الفقه والأدب والفلسفة. ومع ذلك، يشير ابن الخطيب إلى أن هذا التعدد كان أحيانا سببا في تشتت الجهود العلمية، حيث غابت الرؤية الموحدة للمشروع الثقافي الأندلسي.[3]

---

[1] ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان ، ص 135

[2] البقالي، هشام. المرجع السابق، ص 37

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ، ج1، ص68.

يحلل ابن الخطيب كيف أن الانقسام السياسي أدى إلى تشتت الهوية الثقافية للأندلس، حيث أصبحت كل دويلة تتبنى سياسات تعليمية وثقافية مختلفة، وأدى ذلك إلى ضعف التواصل بين العلماء وتراجع حركة الترجمة والتبادل الفكري مع بقية العالم الإسلامي. ويؤكد ابن الخطيب أن "الانقسام السياسي كان له أثر سلبي مباشر على وحدة الهوية الثقافية، حيث أصبح العلماء والأدباء يتبعون الولاء السياسي أكثر من الولاء للعلم أو الثقافة الجامع".[1]

يقارن ابن الخطيب بين عصر الطوائف والعصور التي سبقت أو تلت تلك المرحلة، فيلاحظ أن ازدهار العلوم والفنون كان مرتبطا بوحدة الدولة واستقرارها، بينما كان الانقسام سببا في تراجع الإبداع وتشتت الجهود العلمية والثقافية. ويؤكد أن "الحضارة الأندلسية بلغت أوجها حينما توازنت بين الجانب المادي والروحي، وانهارت حينما طغت المصالح الضيقة على المصلحة العامة".[2]

يبرز ابن الخطيب أن أثر سياسات ملوك الطوائف لم يقتصر على إضعاف الدولة سياسيا وعسكريا، بل امتد ليشمل الحياة الثقافية والعلمية، حيث أدى الانقسام والصراعات إلى تراجع التعليم، وهجرة العلماء، وتشتت الهوية الثقافية، وهو ما جعل الأندلس تفقد مكانتها الحضارية تدريجيا حتى قبيل سقوطها.

[1] ابن الخطيب، نفسه، ج1، ص70.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1،تحقيق محمد عبد الله عنان ص136

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لحياة لسان الدين ابن الخطيب ومؤلفاته حول ملوك الطوائف، توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة التي تسلط الضوء على شخصية ابن الخطيب ودوره في توثيق وتحليل إحدى أكثر الفترات حساسية في تاريخ الأندلس.

أولا، تبين لنا أن ابن الخطيب كان نتاج بيئة علمية واجتماعية غنية في غرناطة، وأن نشأته وتكوينه العلمي المتين ساهما في بلورة رؤيته النقدية والفكرية، وهو ما انعكس بوضوح في كتاباته التاريخية والأدبية. لقد أظهر ابن الخطيب قدرة استثنائية على الجمع بين العمل السياسي والإنتاج المعرفي، الأمر الذي منحه مكانة رفيعة بين أعلام عصره.

ثانيا، لاحظنا من خلال تحليل مؤلفاته، خاصة "الإحاطة في أخبار غرناطة" و"اللمحة البدرية في الدولة النصرية"، مدى دقته في توثيق الأحداث التاريخية، واعتماده على منهج نقدي يوازن بين نقل الوقائع وتحليلها. لقد كان ابن الخطيب واعيا بأهمية الموضوعية، كما كان جريئا في نقد السلطة والوزراء، محذرا من مخاطر التفرقة والصراعات الداخلية.

ثالثا، أظهرت دراستنا لتناول ابن الخطيب لملوك الطوائف أنه لم يكتف بسرد أخبارهم، بل قدم تحليلا معمقا لشخصياتهم وسياساتهم، وبين كيف ساهمت تناقضاتهم وصراعاتهم في إضعاف الدولة الإسلامية بالأندلس. وقد أكد ابن الخطيب من خلال مؤلفاته على ضرورة استخلاص العبر من تلك المرحلة، داعيا إلى وحدة الصف وتغليب المصلحة العامة على النزاعات الشخصية.

رابعا، تبين لنا أن مؤلفات ابن الخطيب تمثل مرجعا أساسيا لدراسة تاريخ ملوك الطوائف، ليس فقط من حيث غزارة المعلومات ودقتها، بل أيضا من حيث الرؤية النقدية والتحليلية التي تميز بها عن غيره من المؤرخين. وقد كان لمؤلفاته أثر واضح على المؤرخين اللاحقين الذين اعتمدوا عليها في فهم تلك الحقبة.

وأخيرا، نستنتج من خلال هذه الدراسة أن تجربة ملوك الطوائف كما صورها ابن الخطيب تحمل الكثير من الدروس والعبر، أهمها أن الانقسام الداخلي والتنافس على السلطة يؤديان إلى الضعف والانهيار، في حين أن الوحدة والتضامن هما السبيل الوحيد للحفاظ على الكيان السياسي والحضاري للأمة.

وبذلك نؤكد أن دراسة ابن الخطيب ومؤلفاته حول ملوك الطوائف لا تزال تحتفظ بأهميتها الأكاديمية والفكرية، وتستحق المزيد من البحث والتأمل لما تحمله من إشارات ودروس تتجاوز حدود التاريخ إلى قضايا الحاضر والمستقبل.

الملاحق

ملحق رقم1 خريطة ملوك الطوائف

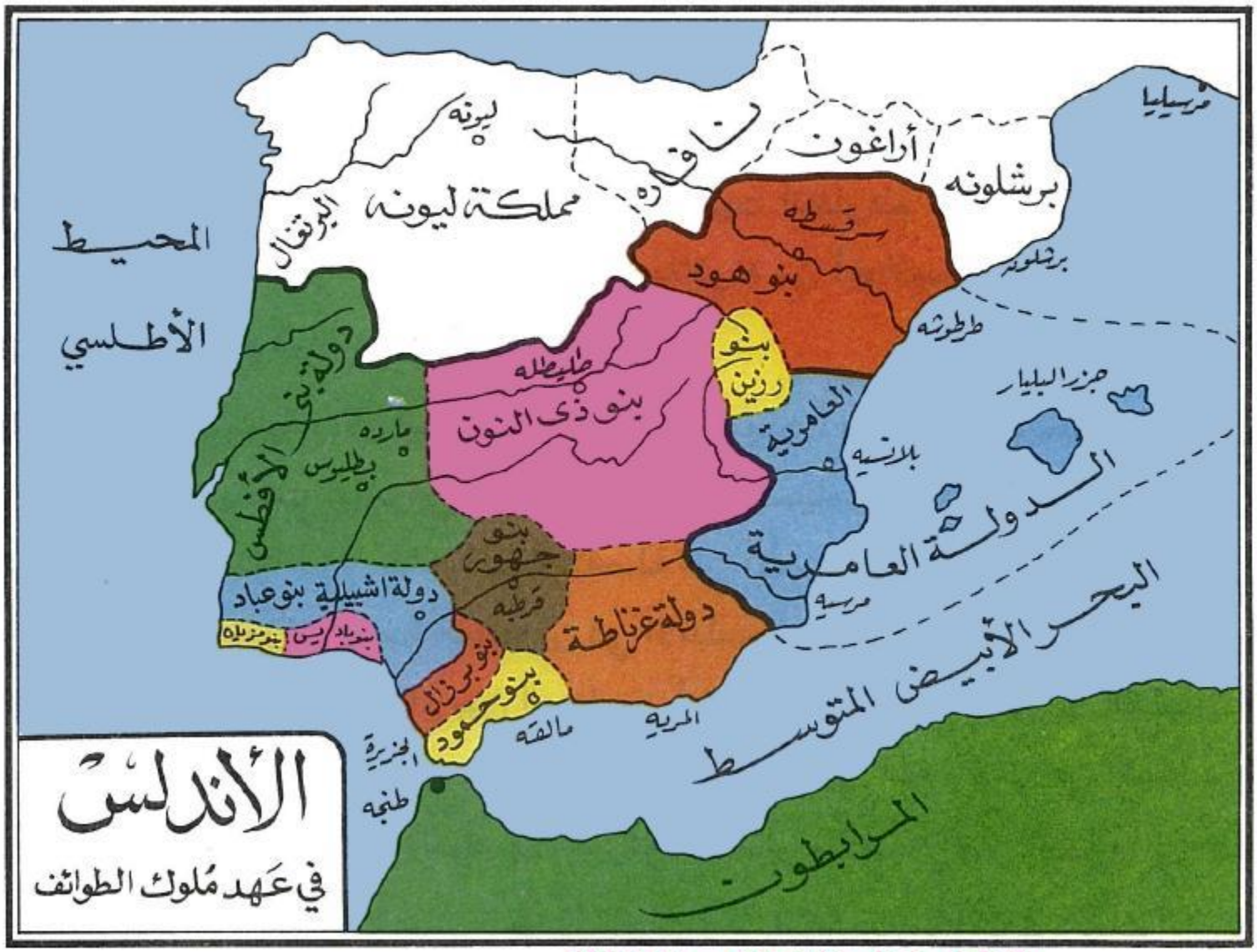

إدارة تعليم عنيزة – تقنيات التعليم – ٣٦٥٤٦٢٤

المصدر : موقع ARCHIVE.ORG

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. المقري، أحمد بن محمد التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1968

2. ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف. نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان. تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1991.

3. ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. تحقيق إ. ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف، 1956.

4. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973.

5. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. اللمحة البدرية في الدولة النصرية. تحقيق محب الدين الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية، 1347 هـ.

6. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط. تحقيق أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني. الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964.

7. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. خاطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف. تحقيق أحمد مختار العبادي. الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1968.

8. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. رقم الحلل في نظم الدول ، فاس، رقم 1056.

9 . ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.

10. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. تحقيق محمد بن شريفة. الرباط: دار الغرب الإسلامي، 1989

11. ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. مقنعة السائل عن المرض الهائل. تحقيق محمد علي مكي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991.

12 . ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، لسان الدين. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. تحقيق أحمد مختار العبادي. الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985.

13. ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

14. ابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة، 1983.

15. الحميري، محمد بن عبد الله. الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.

16. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000.

المراجع

17. إبراهيم العريس. لسان الدين ابن الخطيب: حياته وأدبه. بيروت: دار النهضة العربية، 2001.

18. آنجل جنتالث بالنيا. تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة حسن مؤنس. بور سعيد، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

19. بن ثابت، عبد الحليم. ابن مرزوق الخطيب ومنهجه في كتابه تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام. جامعة محمد بوضياف المسيلة.

20. خولة عمامرة. دويلة إشبيلية في عهد أسرة بني عباد. مجلة متيجة، جامعة البليدة 2.

21. شوقي ضيف. من المشرق والمغرب بحوث في الأدب. دار توبار، شبرا، 1998.

22. عبد العزيز الأول المريني. سيرة السلطان عبد العزيز المريني.

23. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي. تاريخ المغرب والأندلس. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

24. كعدان، عبد الناصر. لسان الدين ابن الخطيب وكتابه عمل من طب لمن حب. مجلة إشيم.

25. كعدان، عبد الناصر. لسان الدين ابن الخطيب. الرابطة المحمدية للعلماء.

26. محمد عبد الله عنان. لسان الدين ابن الخطيب: حياته وتراثه الفكري. مكتبة الخانجي، القاهرة.

27. مصطفى أبو ضيف أحمد. القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية.

28. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد. الاستقصاء لأخبار دو المغرب الأقصى. تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. الدار البيضاء: دار الكتاب.

المجلات

29. إبراهيم القادري بوتشيش. "رسالة لسان الدين ابن الخطيب في السياسة السلطانية." مجلة تبين، 2015.

30 . إبراهيم القادري بوتشيش. رسالة لسان الدين ابن الخطيب في السياسة السلطانية. مجلة تبين.

31 . ابن زمرك، أبو عبد الله محمد بن يوسف. ديوان شعر ابن زمرك الأندلسي. دراسة رمضان عيد محمد بدر. مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، 2022.

32 . إسماعيل رمضان محمد علي، حفيظة. "معيار الاختيار لابن الخطيب بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية فنية." حولية كلية اللغة العربية بجرجا، 2015.

33 . بدر، رمضان عيد محمد. "شعر ابن زمرك الأندلسي: وثيقة تاريخية." مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، 2022.

34 . بن عيسى، عبد القادر. محمد بن مرزوق الخطيب السياسي الأديب. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وهران.

35 . خولة عمامرة. "دويلة إشبيلية في عهد أسرة بني عباد." مجلة متيجة، جامعة البليدة 2، 2022.

36 . ساجد مخلف حسن. "لسان الدين ابن الخطيب، حياته ومنهجه في كتابة نفاضة الجراب في علالة الاغتراب." مجلة جامعة تكريت للعلوم، 2012.

37 . سرى طه ياسين. "لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلات." مجلة كلية الإمام الأعظم، العراق.

38 . سرى طه ياسين. لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلات. مجلة كلية الإمام الأعظم، الجامع العراقية كلية التربية للبنات.

39 . سعيدة ميرحق. مجلة الاقتنان والإفادة في رسائل ابن خلدون وابن الخطيب.

40 . عيساوي محمد. "المؤرخ لسان الدين بن الخطيب: حياته ومنهجه في التدوين التاريخي، كتاب أعمال الأعلام أنموذجا." مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، 2016.

41 . عيساوي محمد. المؤرخ لسان الدين بن الخطيب: حياته ومنهجه في التدوين التاريخي، كتاب أعمال الأعلام أنموذجا. مجلة التراث، جامعة زيان عاشور.

42 . كعدان، عبد الناصر. "لسان الدين ابن الخطيب وكتابه عمل من طب لمن حب." مجلة إشيم.

43 . محمد سيف الإسلام بوفلاقة. "التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب." مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 2020.

44 . محمد سيف الإسلام بوفلاقة. التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية.

45 . مها هلال محمد. "الخطاب المقدماتي في النثر الأندلسي: كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب." مجلة جامعة الزيتونة الدولية، 2024.

46 . مها هلال محمد. الخطاب المقدماتي في النثر الأندلسي: كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب. مجلة جامعة الزيتونة الدولية.

الرسائل الجامعية

47 . سفيان صرصاق. الحياة العلمية بمدينة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة لإبن الخطيب. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012.

48 . محمد حكيم. الأدوار العسكرية والسياسية للبربر بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2014.

49 . ساجد مخلف حسن. لسان الدين ابن الخطيب، حياته ومنهجه في كتابة نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، 2012.

50 . محمد حكيم. الأدوار العسكرية والسياسية للبربر بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

الموسوعات

51 . الموسوعة العربية العالمية، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، 1999.

52 . الرابطة المحمدية للعلماء. لسان الدين ابن الخطيب.

الفهرس

إهداء

شكر وتقدير : .....

المقدمة: .....أ

الفصل الأول: ابن الخطيب حياته ومؤلفاته

المبحث الأول: النشأة والخلفية الاجتماعية..... 7

المطلب الأول: النسب وأصول العائلة 7

المطلب الثاني: النشأة في غرناطة والبيئة العلمية والاجتماعية 9

المبحث الثاني: التكوين العلمي والمسار الوظيفي 12

المطلب الأول: مراحل تعليمه وأبرز شيوخه..... 13

المطلب الثاني: توليه مناصب الدولة 17

المبحث الثالث: أهم مؤلفات ابن الخطيب..... 21

المطلب الأول: الإحاطة في اخبار غرناطة..... 21

المطلب الثاني: "اللمحة البدرية في الدولة النصرية": موضوعه وأسلوبه..... 23

المطلب الثالث: مؤلفات أخرى 24

الفصل الثاني : نظرة عامة حول ملوك الطوائف

المبحث الأول: نشأة عصر الطوائف وتطوراته 31

المطلب الأول: العوامل التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف 31

المطلب الثاني: أبرز الدويلات الطائفية في الأندلس 35

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف . 39

المطلب الأول: الحياة الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف..... 39

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف 43

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والأدبية والفكرية في عصر ملوك الطوائف..... 45

الفصل الثالث :دراسة نقدية لعصر ملوك الطوائف من خلال مؤلفات لسان الدين

المبحث الأول: نقد ابن الخطيب للواقع السياسي والاجتماعي في عصر ملوك الطوائف.... 50

المطلب الأول: الانقسام السياسي 50

المطلب الثاني : التحالفات مع القوى المسيحية 51

المطلب الثالث: التحليل الاجتماعي والاقتصادي 53

المبحث الثاني: مقارنة ابن الخطيب بين عصر ملوك الطوائف والعصور الأخرى في الأندلس..... 56

المطلب الأول: مقارنة ابن الخطيب بين عصر الطوائف وعصر المرابطين..... 56

المطلب الثاني: نقد الطبقة الحاكمة في عصر الطوائف 58

المبحث الثالث: تقييم ابن الخطيب لاثر ملوك الطوائف على مصير الاندلس..... 60

المطلب الاول: دور ملوك الطوائف في اضعاف الدولة الاسلامية بالاندلس 60

المطلب الثاني: أثر سياسات ملوك الطوائف على الحياة الثقافية والعلمية..... 63

خاتمة:..... 67

الملاحق: 71

قائمة المصادر والمراجع: 74

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة تصوير لسان الدين ابن الخطيب لعصر ملوك الطوائف في الأندلس من خلال مؤلفاته التاريخية، باعتبارها نموذجا مركزيا لفهم الديناميات السياسية والاجتماعية والثقافية التي طبعت الأندلس خلال هذه المرحلة الحاسمة. تسلط الدراسة الضوء على أهمية ابن الخطيب كمؤرخ يسجل الأحداث، الكبرى التي عاشتها غرناطة وسائر مدن الأندلس، وكمشارك فاعل في الحياة السياسية والثقافية، مما أضفى على كتاباته طابعا يجمع بين دقة المؤرخ وعمق الأديب.

تناولت الدراسة نشأة ابن الخطيب وخلفيته الاجتماعية والعلمية في غرناطة، وتستعرض مراحل تعليمه وأبرز شيوخه ومساره الوظيفي وتوليه مناصب الدولة، كما تبرز مكانته العلمية والأدبية وتنوع إنتاجه في مجالات التاريخ والأدب والسياسة. كما تعالج الصراعات السياسية التي واجهها ونفيه إلى المغرب وأسباب محنته ووفاته، وهو ما يوضح مدى التأثير المتبادل بين حياته الشخصية وتجاربه ونظرته للأحداث التاريخية.

في محور المؤلفات، تعرض الدراسة أهم كتب ابن الخطيب التاريخية التي تناولت ملوك الطوائف، مثل "الإحاطة في أخبار غرناطة" و"اللمحة البدرية في الدولة النصرية" و"أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"، مع تحليل منهجه ومصادره وأسلوبه في عرض الأحداث والشخصيات. كما تتناول مؤلفات أخرى له حول ملوك الطوائف، وتكشف عن رؤيته النقدية للسلطة والوزراء ودورهم في ضعف الدولة الأندلسية.

أما في محور ملوك الطوائف، فتعالج الدراسة نشأة عصر الطوائف وتطوراته، وأبرز الدويلات الطائفية في الأندلس، كما تحلل شخصيات ملوك الطوائف من خلال مؤلفات ابن الخطيب، ومواقفه منهم وتقييمه لأثرهم على مصير الأندلس، مركزة على دورهم في إضعاف الدولة الإسلامية وفتح الباب أمام التدخلات الخارجية.

تتحدد إشكالية البحث في كيفية تصوير ابن الخطيب لعصر ملوك الطوائف، وما مدى القيمة التاريخية لمؤلفاته في فهم تلك الحقبة. ويعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي في تتبع نشأة ابن الخطيب ومسيرته، وتحليل مؤلفاته، ودراسة عصر الطوائف كما صوره، مع ربط كل ذلك بالسياق العام للأحداث.

الكلمات المفاتحية: لسان الدين ابن الخطيب، ملوك الطوائف، الأندلس، التاريخ، المؤلفات، النقد السياسي

Abstract

This study aimed to address how Lisan al-Din Ibn al-Khatib portrayed the era of the Taifa kings in Al-Andalus through his historical works, as a central model for understanding the political, social, and cultural dynamics that characterized Al-Andalus during this critical period. The study highlights the importance of Ibn al-Khatib not only as a historian who records events, but also as a witness to the major transformations experienced by Granada and other Andalusian cities, and as an active participant in political and cultural life, which gave his writings a unique blend of historical accuracy and literary depth.

The study addresses Ibn al-Khatib's background, social and scientific upbringing in Granada, and reviews the stages of his education, his most prominent teachers, his career path, and his assumption of state positions. It also highlights his scientific and literary status and the diversity of his output in the fields of history, literature, and politics. The study also examines the political conflicts he faced, his exile to Morocco, and the reasons for his ordeal and death, which clarifies the mutual influence between his personal life, his experiences, and his view of historical events.

In the section on works, the study presents Ibn al-Khatib's most important historical books dealing with the Taifa kings, such as "Al-Ihata fi Akhbar Gharnata" and "Al-Lamha al-Badriya fi al-Dawla al-Nasriya," with an analysis of his methodology, sources, and style in presenting events and personalities. It also deals with other works he wrote about the Taifa kings, and reveals his critical vision of authority, ministers, and their role in weakening the Andalusian state.

As for the Taifa kings, the study addresses the emergence of the Taifa era and its developments, the most prominent Taifa states in Al-Andalus, and analyzes the personalities of the Taifa kings through Ibn al-Khatib's works, his positions towards them, and his evaluation of their impact on the fate of Al-Andalus, focusing on their role in weakening the Islamic state and opening the door to external interventions.

The research problem is determined by how Ibn al-Khatib portrayed the era of the Taifa kings, and the extent of the historical value of his works in understanding that period. The research adopts the analytical historical method in tracking Ibn al-Khatib's background and career, analyzing his works, and studying the Taifa era as he portrayed it, linking all of this to the general context of events.

Keywords: Lisan al-Din Ibn al-Khatib, Taifa kings, Al-Andalus, history, works, political criticism